شخصيات حيرت العالم

سقراط

فان جوخ

محمد على

ستالين

الإسكندر

نيرون

هتلر

روبسبير

أتاتورك

بيتهوفن

بيكاسو

نابليون

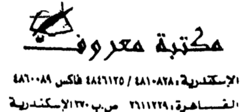
عمرو يوسف

مكتبة معروف

WORLD WORLD

شخصيات حيرت العالم

عمرو يوسف


مكتبة معروف
الإسكندرية ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٣٧٠ الإسكندرية

مقدمة

خلال عشرات القرون التى انصرمت من عمر الزمان حفلت صفحات التاريخ بمئات الأسماء والأحداث التى تستحق الذكر والدراسة والتحليل من أمتع تلك الدراسات وأكثرها إثارة وتشويقاً دراسة شخصيات المشاهير عبر التاريخ ، وقد جعلنا محور دراستنا فى هذا الكتاب حول شخصيات حيرت العالم ، وتتبع هذه الحيرة من عدة مصادر مثل العبقرية الفذة التى فاقت كل الحدود ، العبقرية العسكرية للقائد الإغريقى الإسكندر الأكبر ، الذى فتح معظم أنحاء العالم القديم وكان أعظم ملوك عصره رغم حياته القصيرة حيث توفى بعد بضع سنوات من بلوغه الثلاثين ، وهولذلك لم يكن قائداً عادياً حقق العديد من الانتصارات وأخضع الممالك والولايات فقط بل كان قائداً عبقرياً .

وهناك من الشخصيات ما جعل العالم يتعجب أشد العجب لغرابة تصرفاتها وشذوذ مسلكها ، وخير مثال على هذه الشخصية الامبراطور الرومانى " نيرون"، الذى تميز بقسوة نادرة ، ويقال إنه قتل خلال فترة حكمه الطويلة عشرات الآلاف من مواطنيه التعساء ، أما أعجب أعماله التى حيرت العالم ومازالت فهى إحراقه لمدينة روما

الخالدة بينما يستمتع بمشــهد الحريق والخراب والدمار ، ولا يكتفى بذلك بل يقوم بالعـزف على إحدى الآلات الموسيقيـة ويطلق ضحكاته المجنونة !!

ومن الأمثلة البارزة لتلك الشخصيات التى تميزت بالقسوة والنزعة السادية المدمرة. شخصية "جـينكيز خان " ، الذى أطلق عليه (سفاح الشعوب) ، نظراً لبشاعة مسلكه وعشقه للقتل والتدمير حتى إنه قتل رسل المـمالك الذين وفـدوا إليه بغية عـقد الصلح معه ، وفى الـعصر الحديث توجـد نسخة مكررة من شـخصية " جنيكيـز خان" ، وهو الزعـيم الألمانى الراحل " أودلف هتلر " ، الذى قـاد بجنونه ونزعته العنصرية المتطرفة بلاده والعالم أجمع إلى الدمار والخراب فى خلال واحدة من أشد الحروب دماراً فى التاريخ وهى الحرب العالمية الثانية والتى عانت من ويلاتها كل دول العالم .

وتحفل سـجلات التـاريخ بعشرات الزعـماء والقادة الـذين جعلوا العـالم فى حيـرة نتيجـة تناقض مـسلكهم من النقيض إلى النقـيض وانقلابهم على مبادئهم بصورة عجيـبة مثل الزعيم الفرنسى الثائر " روبسبير " ، الذى قتل خلال سنـة واحدة من حكمه الدموى عشرات الآلاف من أبناء شعـبه رغم أنه كان من أشد أنصــار الحرية وتحرير الإنسان من الظلم !!

ومن الشخصـيات الفريدة التى حيرت العالم نظراً لغـرابة سلوكها وشذوذ تصرفاتها شخصية الرسام الهولندى المبدع " فان جوخ " ،

فقد بلغ قمة الإبداع وتميزت لوحاته بلمسة رائعة من السحر والغموض ولكنه أتى فعلاً عجيباً حقاً .. فقد قطع أذنه بنفسه ليهديها إلى حبيبته .

ومن الفنانين الذين حيروا العالم أيضاً الموسيقار الألمانى الخالد " بتهوفن " ، الذى بلغ قمة التألق والنضوج والإبداع بعد أن أصابه الصمم وقضى على حاسة السمع لديه نهائياً .

ولم تخل قارتنا السمراء من تلك الشخصيات التى حيرت العالم بين هذه الشخصيات التى توقفنا أمامها شخصية مؤسس مصر الحديثة "محمد على باشا" ، الذى كان مجرد جندى فى الجيش التركى ، ولكنه كان طموحاً ذكياً ، ولم يتوقف طموحه عند حد الاستيلاء على عرش مصر فقط بل جيّش الجيوش وجهز الأساطيل وأعد عدته لغزو أوربا بعد أن استولى على أجزاء عديدة من أملاك الدولة العثمانية فى الشرق .

وفى أفريقيا أيضاً إحدى الشخصيات التى أثارت عجب العالم بل وأثارت سخريته أيضاً وهى شخصية رئيس دولة أفريقيا الوسطى السابق "بوكاسا " ، فبالرغم من أن دولته تعد من أفقر عشر دول فى العالم ولا تملك إلا القليل من الموارد الطبيعية إلا أنه أعلنها امبراطورية ونصب نفسه امبراطوراً عليها !! وأنفق الملايين وبدد أموال شعبه التعس ليحقق هذا الحلم العجيب .. حلم امبراطورية أفريقيا الوسطى ..

أما " راسبوتين" فلنا معه وقفه طويلة نظراً لما يحيط بشخصيته من غموض وما تحفل به حياته من أسرار وأعاجيب ويكفى أنه كان الآمر الناهى فى البلاط الروسى فى فترة من أهم فترات حياة تلك الامبراطورية الجبارة .

وقد تناولنا العديد من القادة والزعماء والأدباء الفنانين والخيط الذى يجمع بين كل هذه الشخصيات الكثيرة هو أنها شخصيات أثارت حيرة العالم وعجبه فى يوم ما ، بل وربما استمرت هذه الحيرة حتى وقتنا الراهن ونحن قد شعرنا بالحيرة أمام هذه الشخصيات وحاولنا بقدر جهدنا أن نسلط الضوء عليها وأن نبرز النواحى الخفية فيها ، وإنها لمتعة حقاً أن نعيش مع هذا العدد من الشخصيات التى جمعناها بين دفتى كتاب واحد وإننا نأمل أن تشاركنا أيها القارئ الكريم عجبنا وحيرتنا وأن تستمتع بمطالعة سير هؤلاء المشاهير .

والله ولى التوفيق .

عمرو يوسف

سقراط

الوحيد الذى يعرف الحقيقة :

من أكثر الشخصيات التى أثارت الجدل خلال حياتها وبعد وفاتها هى شخصية الفليسوف العظيم "سقراط" ، فخلال حياته أثار العديد من المجادلات والمناقشات الفلسفية وانقسم الأثينيون إلى فريقين أحدهما يؤمن بأفكاره ويتبنى فلسفته ويدافع عنها والفريق الآخر يناصبه العداء ويتهمه بالجنون والمروق ، وعقب وفاته ادعى كثيرون أن "سقراط"، هو شخصية خيالية غير حقيقية وأن مبدعها هو " أفلاطون" ، الذى أحب أستاذه سقراط حباً جماً فألصق به هذه الآراء الفلسفية وهى فى الواقع أراؤه هو ، ولكن المؤكد أن " سقراط" ، كان فيلسوفاً عملاقاً وصاحب مدرسة فريدة فى الفلسفة ، وقد تولد هذا الشك لأنه لم يترك أية مؤلفات خاصة به ولم يكتب شيئاً كغيره من المفكرين والفلاسفة ، وأن كل ما وصلنا نقله عنه تلامذته المخلصون وعلى رأسهم بالطبع الفيلسوف العظيم " افلاطون "، وأيضاً " زينوفون".

من أشهر ما نقل عن " سقراط" ، ماعرف بالمحاورات ، وهى

المناقشات الفلسفية التى دارت بـين الفيلسوف وبين تلامذته ، اختاره الشعب فى أثينا كـأحكم الحكماء فى اليونان ، وعندما سـئل عن سر هذا الاختيار قال قولته الخالدة :

(ربما لأننى الرجل الوحـيد الذى يعـرف أنه لا يعرف شـيئاً على الإطلاق) .

ويدل هذا القول على مـدى تواضع الرجل وإنكاره لذاته واعتـرافه بقصور العـقل الإنسانى عن بلوغ درجة الكمال والحكمة مـهما أوتي من علم ومعـرفة ، لقد آمن "سـقراط" ، بأن كل الآثام والخطايا التى يرتكبها الإنسـان هى وليدة الجهل ، وأن سعى الإنسـان الأكبر يجب أن يكون من أجل الوصول إلى درجة طيبـة من المعرفة تجنبه الوقوع فى الخطأ ، ويوجز " سقـراط" ، هذا المعـنى فـى قولـته المأثـورة : (الفضيلة هى المعرفة) .

توليد الأفكار :

ولد " سقـراط " ، لأبوين فقـيرين من عامـة الشعب ، حـيث كان والده نحاتاً يصنع التـماثيل وأمه مولدة ، وقد اتخـذ سقراط من ذلك موضـعاً للتندر حيث قـال : إنه لم يفعل أكثـر من اتباع حرفـة أمه ، ولكن بطريقة مختلفة .. فهو يساعد الآخرين على أن يخرجوا أفكارهم للعـالم من أعمـاق نفوسـهم ، وقد أطلق على هذه الطريقـة منهج " التوليـد" ، فهو بهـذه الطريقة يمارس مـا يمكن أن يطلق عليه عـملية توليد الأفكار .

لقد فرض هذا الرجل الذى ولد فى سنة ٤٦٩ق.م تقريباً أفكاره ومنهجه الفلسفى على ملايين المفكرين وأصبح من أعلام الفلسفة الخالدين حتى يومنا هذا رغم كل ما حفلت به شخصيته من تناقضات .

فقد كان "سقراط "، المبشر بالحق والداعى إلى الخير والفضيلة وإعلاء قيم النقاء والجمال أبعد الناس شكلاً عن الجمال ، حيث يصفة معاصروه بانه كان أفطس الأنف غليظ الشفتين جاحظ العينين كثّ اللحية دميم الهيئة ، كما كان شديد التقشف والزهد عفيف النفس يرتدى ثوباً رثاً واحداً ويسير حافياً دائماً ولكنه كان شديد الاهتزاز بكرامته مثالاً حياً على التحكم فى زمام النفس والسيطرة على أهوائها فلم يفرط يوماً فى كرامته ولم يقبل هدايا الملوك والأمراء .

وكما ذكرنا فإن من أبرز فضائل " سقراط " ، التواضع الشديد ، كان يعلن دائماً أنه من هواة الفلسفة فقط ، اهتم بعلم الأخلاق وفلسفتها وراح يختبر معتقدات الناس ليتحقق من الأسس التى قامت عليها ، ورغم أن معظم المعاصرين له كانوا مؤمنين بأنه أحكم اليونانيين وأكثرهم معرفة إلا أنه كان ينكر ذلك دائماً تواضعاً وتأدباً منه ، وراح يخوض العديد من المجادلات ويلقى الأسئلة المعقدة حتى يثبت للجميع جهلهم وضحالة عقولهم .. وكانت هذه المجادلات الشاقة سبباً فى جلب عداوة الكثيرين له واتهامه من قبل الحكام بإثارة شكوك الناس فى آرائهم وعدم تقديم الإجابات الشافية لهم مما يوقعهم فى الحيرة ..

زوجة الفيلسوف:

من أوائل الذين عانـوا من سـلاطة لسـان زوجـاتـهم أشد المعاناة " سقـراط " الحكيم الذى كـانت زوجتـه "زانتيب" ، امـرأة سليطة اللسان كثيرة الشجار ، وكان صبر" سقراط" عليها وتحمله لثوراتها مضـرباً للأمثال .. كانت زوجـته دائماً ما تـعيب عليه إهماله لشـئون الأسرة ، وتتهـمة بالكسل وانعدام المسئـولية ، كما كـانت تطلق عليه أبشع الصفات وتعـيره بدمامة خلقته ، ولذلك كـان الفيلسوف الزاهد يضطر لتـرك المنزل فى الصبـاح ليهـيم على وجهه طـوال اليوم ولا يعـود إلا بعد حلول الظـلام فى المساء ليـتلقى نصـيبـه من الإهانات والسباب .

ولكن هذا العذاب اليـومى الذى كان يلقاه "سـقراط" ، لم يزده إلا حكمةً وصـلابة ، وعندما سئل عن كـيفية قـضائه وقتـه طوال اليوم خارج بيته ، بعيداً عن منزله وأولاده قال:

(كنت أذهب إلى معـبد من المعابد الصغـيرة فى أثينا ، لأجلس فى ركن منه ، أفكر وأتأمل ، فإن مللت الجلوس وحدى خرجت أبحث عن حـمـام أغـتسـل فيـه ، ثم أبحـث بعد ذلـك عن الناس لإجلس إليـهم وأحدثهم وأستمع إلى ما يقولون) .

ورغم كل ذلك النقد والتجريح الذى تعرض له من قبل زوجته فإنه كـان يعـترف بصـحـة شكواها ويشكر لهـا حـسن تدبيـرها للمنزل وتربيتها لأولادها .

شهيد الفلسفة :

ذكرنا أن " سقراط " كان مؤمنا بأن العقل لا يعرف إلا أقل القليل ، وأنه كلما ازداد علماً كلما ازداد تواضعاً وشوقاً إلى المزيد من العلم ، ولذلك كان يحتقر كل من يدعى العلم والحكمة ويعتبره أجهل الجاهلين ، وهكذا أصبح هذا الفيلسوف الزاهد المتواضع هو العدو اللدود لعدد كبير من أدعياء الحكمة ، وما كان أكثرهم فى أثينا خلال هذه الحقبة .

كانت وسيلة "سقراط " ، لكشف جهل الآخرين هى توجيه عدد من الأسئلة الصعبة المعقدة إليهم حتى يثير الشكوك بداخلهم ويثبت لهم مدى جهلهم الفاحش ، وكان خطؤه الأكبر أنه لم يقدم إليهم أية إجابات تشفى غليلهم ، ولذلك كانت المناقشات تنتهى دائماً بهزيمة خصومة .

وبهذه الطريقة كثر أعداء "سقراط " وكان بعضهم من كبار السياسيين الذين لم يغفروا له أبداً إظهاره لمدى جهلهم وقلة معرفتهم ، وكان أحد هؤلاء قد تعرض لحرج شديد عقب فشله فى الإجابة على أسئلة "سقراط" ، ووقع فى حيرة بالغة وأردكه الارتباك ، فأصبح هو العدو اللدود لسقراط وصار يجمع حوله عدداً من الحانقين على الفيلسوف الزاهد وأخذ الجميع يحيكون خيوط مؤامرة محكمة للإيقاع به والانتقام منه .

وهكذا تم توجيه تهمتين قاسيتين لسقراط الأولى : أنه لايؤمن بآلهة المدينة ويدعو إلى عبادة غيرها من الآلهة .

والثانية : إنه أفسد أخلاق الشباب فى أثينا ، وجرأهم على الاستهانة بالتقاليد والخروج على طاعة آبائهم .

وأمام محكمة علنية مكونة من قضاة من عامة الشعب من غير أصحاب العلم والمعرفة ، رفض التنصل من التهم البشعة الموجهة إليه وهو يعلم جيداً معنى ذلك ، وكان يستطيع أن ينكرها وله من جماهير الشعب سنداً ومعيناً يحميه بعد ذلك .

ورغم أن القضاة عرضوا عليه التبرأ من أفكاره وفلسفته إلا أنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً معلناً تمسكه بفلسفته حتى النهاية .. ومن أقواله المأثورة فى هذه المحكمة التاريخية :

(لن أمتنع مادمت حياً ومادامت لدى قوة عن الاشتغال بالفلسفة وتعليمها للناس ، وعن وعظ كل من ألقاه على طريقتى الخاصة .. أحب أن تعرفوا أنكم إذا أقدمتم على قتل رجل مثلى أسأتم إلى أنفسكم أكثر من أساءتكم لى ، لأنكم إن قضيتم على لن يتيسر لكم أن تجدوا رجلاً آخر مثلى).

وقد أثار "سقراط " ، خلال المحكمة غضب القضاة بإصراره على آرائه ورفضه التنازل عنها رفضاً قاطعاً ، كما رفض مناقشة العقوبة التى يرضاها حتى لا يكون فى ذلك اعترافاً ضمنياً بالذنب وهو مالم

يقبله ، وفى رأيه أنه يجب أن يثاب على أفعاله بدلاً من العقاب الظالم .

كما ألح عليه أصدقاؤه ومحبوه وعلى رأسهم تلميذه المخلص أفلاطون أن يقبل بتأدية غرامة مالية ، وسوف يتكفل هو وباقى الأصدقاء بجمع المبلغ ، ولكن فى هذه الأثناء كان باقى القضاة قد انقلبوا على "سقراط" ، وقر قرارهم على الحكم عليه بالإعدام .

واستقر الرأى على أن يتم إعدام " سقراط" ، بواسطة سم " الشوكران" .

وفى اليوم المحدد للتنفيذ وقبيل الغروب تم إعداد كأس السم وسط بكاء عشرات التلاميذ من حول " سقراط "، الذى كان رابط الجأش ثابت الجنان وقال لهم :

(اخرجوا وقولوا إنكم تواروون فى التراب جسدى فقط) .

وعقب تناوله كأس السم بدقائق قليلة توفى "سقراط " فى سنة ٣٩٩ ق.م تقريباً .



الإسكندر الأكبر

البطل الأسطورى :

شاب وسيم .. عبقرى .. يعشق الحرب والقتال شهيته مفتوحة دائماً لفتح أراضى جديدة ، يعتقد الكثيرون .. ونحن معهم .. أنه لو قدر له أن يعيش عدة أعوام أكثر من الثلاثة والثلاثين عاماً التى عاشها لكان فاتحاً لجميع أنحاء العالم القديم لا محالة ، بما فى ذلك أوربا الغربية وباقى أجزاء أسيا التى تركها مرغماً بعد تمرد جنوده ..

إنه "الإسكندر الأكبر " أحد عباقرة العسكرية فى التاريخ ، بل إنه يلقب بأعظم مقاتل فى التاريخ ، فلم يعرف طعم الهزيمة قط رغم كثرة ما خاض من معارك هائلة فتح فيها عشرات البلدان ، وكان حريصاً دائماً على أن يكون فى مقدمة قواته ، ولعل عادته تلك رغم خطورتها على حياته إلا أنها دفعت كل رجل من رجاله إلى بذل أقصى جهده حتى يكون جديراً بالقتال فى صفوف هذا المحارب العظيم وبالطبع لم تمر هذه المعارك الطاحنة على " الإسكندر الأكبر" مرّ الكرام فقد أصيب عشرات الاصابات فى مختلف أجزاء جسده ، ولكن أياً منها لم تعقه عن القتال .

إن الحديث عن "الإسكندر الأكبر" ، يشبه إلى حد كبير الحديث عن أبطال الأساطير مع الفارق العظيم بينهما .. فالإسكندر شخصية تاريخية واقعية لا جدال فى ذلك ، رغم ما يحيط تاريخه من هالة أسطورية براقة ، وما أضيف إلى أعماله وسيرته مما يعد من قبيل الخيال الذى يقربه من أبطال الأساطير الإغريقية ، ولا عجب فى الأمر فهو إغريقى الأصل ، نشأ فى تلك البلاد صاحبة الأساطير الخالدة التى يعرفها العالم جيداً ، فمن الذى لا يعرف آلهة جبال الأوليمب وزيوس رب الأرباب وهيرا وهرقل وغيرهما ؟.

ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر وجود "الإسكندر" ، الذى خلّف آثاراً كثيرة وتماثيل رائعة وسجلت سيرته وغزواته فى العديد من البلدان بلغاتها الأصلية مثل الإغريقية والبابلية والفارسية والهيروغليفية وغيرها من لغات العالم القديم .

ومن أهم النقاط التى أثارت الجدل قديماً ادعاء البعض بأن "الإسكندر الأكبر "، هو نفسه " ذو القرنين" ، الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك ، وربما كان من أسباب هذا الادعاء العثور على بعض تماثيل "الإسكندر" ، وهو يرتدى خوذة ذات قرنين ، وهو سبب واه كما نرى لايثبت وحده هذا الادعاء الذى لا يعلم إلا الله وحده .

فتوحات بلا حدود:

إن " الإسكندر الأكبر "، يعتبر بحق واحداً من أعظم شخصيات العالم القديم ، وقد أثار حيرة العالم طوال عشرات القرون للعديد من

الأسباب منها عبقريته الفذة ونظرته الثاقبة التى لم تقتصر على ما حوله فقط بل تعدتها إلى ماوراء الأفق ، ويستحق الإسكندر كل تقديراً واحترام لأجل ذلك ، فقد عاش فى عصر لم يعرف الأقمار الصناعية ولا شبكات الأخبار العملاقة ولاحتى أدنى أنواع الاتصال المتيسرة لنا حالياً ، ورغم ذلك فقد قاد جيوشه لتغزو مختلف بقاع العالم الذى كان يحلم بأن يكون حاكمه الأوحد فيالها من رغبة وياله من طموح !!

فى سنة ٣٣٦ق.م قتل " فيليب المقدونى " والد " الإسكندر الأكبر " ، عن عمر يناهز السادسة والأربعين فقط ، وكان فيليب قوياً طموحاً في توسيع حدود مملكته على حساب الدول المجاورة ، وبالفعل نجح فى غزو عدد من الممالك الصغيرة المجاورة وضمها إلى مملكته ، وكان يحلم بغزو مملكة الفرس التى كانت أغنى وأكبر امبراطورية فى العالم فى ذلك الوقت ولكنه قتل قبل أن يحقق حلمه .

فى هذه الأثناء كان" الإسكندر الأكبر" ، فى نحو العشرين من عمره ، وقد ورث عن أبيه طموحه بل تفوق عليه فى اتساع طموحاته ، فلم يحلم بغزو الامبراطورية الفارسية فقط بل إن أحلامه كانت أكبر من ذلك كثيراً .. بالإضافة إلى الطموح الكبير الذى ورثه " الإسكندر "عن والده " فيليب " ، فقد ورث عنه البراعة العسكرية وموهبة الزعامة والقيادة ، وإن تفوق عليه فى هذا المضمار كثيراً،إن" الإسكندر الأكبر"، يعتبر من الزعماء العظام أصحاب الشخصيات الساحرة المسيطرة التى تمتلك الأفئدة وتسلب العقول .

فقد كان خطيباً بليغاً لديه من قوة الحجج وروعة الأسلوب ما يقنع أصحاب الرؤوس الصلبة فما بالك بالجنود العاديين والأفراد البسطاء من عامة الشعب ؟! ويرجع الفضل فى ذلك إلى الفيلسوف العظيم "أرسطو" ، الذى تولى تثقيف الإسكندر وتعليمه ، وقد غرس فيه أرسطو أيضاً عقيدة تفوق الإغريق على من عداهم من الأجناس الأخرى .

بعد أن تمكن الإسكندر من سحق انتفاضة الشعوب الإغريقية الخاضعة لسلطاته بدأ فى خوض معركته الكبرى بغزو بلاد فارس التى كانت تسيطر على منطقة شاسعة من العالم القديم تمتد من البحر الأبيض إلى بلاد الهند ، وفى هذه الحملة أذهل الإسكندر الجميع !!

فقد أقدم على غزو أقوى امبراطوريات العالم بجيش لم يتجاوز عدد جنوده أربعة وثلاثين ألف مقاتل فقط ، وكان هذا العدد ضئيلاً جداً فى حملة كهذه ، ولكن الإسكندر قام باختيار كل فرد من جيشه بعناية فائقة كما أحسن تدريب جيوشه وغرس العقيدة القتالية فى نفوسهم ، كما أن الجنود كانوا يرون فى الإسكندر مثلاً أعلى وقائداً ملهماً وبطلاً لا يشق له غبار ، وكانوا على حق فى إيمانهم بعبقرية الإسكندر وشجاعته النادرة ، فقد ذكرنا أنه كان دائماً على رأس جنوده فى أيّة معركة يخوضها غير مبال بما يصيبه من جراح وطعنات وما يحيط به من أخطار هائلة .

ولكن الشجاعة الفائقة والجيوش القوية المدربة والعقيدة القتالية كل هذه العوامل لا تحقق الانتصار وحدها مالم يكن هناك قائدة ذو نظرة عميقة وعقل مفكر وبراعة منقطعة النظير في إعداد الخطط القتالية ووضعها موضع التنفيذ .

وقد أثبت " الإسكندر الأكبر " ، خلال المعارك التى خاضها فى بلاد فارس أنه حقاً أعظم مقاتل فى التاريخ ، فلم يخسر معركة واحدة فى هذه البلاد على كثرة المعارك التى خاضها .

وبعد أن استولت جيوش الإسكندر على حوالى نصف الامبراطورية الفارسية أرسل إليه امبراطور فارس يعرض عليه الصلح مقابل أن يتنازل له عن نصف الامبراطورية التى قام بفتحها ، ولكن الإسكندر رفض ذلك رفضاً قاطعاً وواصل زحفه حتى تمكن من إخضاع الامبراطورية الفارسية الشاسعة بالكامل ، وكان وقتها فى نحو السادسة والعشرين من عمره فقط !!

الكفاءة القتالية والإدارية :

لم تقف براعة الإسكندر عند النواحى القتالية والعسكرية والاستراتيجية فقط بل تعدتها إلى النواحى الإدارية ، فبعد أن تمكن الإسكندر من إخضاع الامبراطورية الفارسية بالكامل أخذ ينظم امبراطرريته الشاسعة تنظيماً شاملاً ، وكان يدرك جيداً أن كثرة الفتوحات والانتصارات مع إهمال تنظيم البلاد التى تم فتحها سوف يأتى بنتيجة عكسية تماماً وتضيع كل مكاسبه .

لم تتوقف فتوحات الإسكندر عند غزو بلاد فارس والاستيلاء عليها بل واصل فتوحاته حيث فتح بلاد أفغانستان وضم شرق الهند إلى مملكته الشاسعة ، وكان يتهيأ لضم غرب الهند ولكن جنوده رفضوا الاستمرار فى القتال والتقدم لأبعد من ذلك ، فقد أرهقهم القتال المتواصل لسنوات متتالية ، ولولا ذلك لضم الإسكندر باقى أنحاء قارة آسيا .

وكان الإسكندر قد فتح مصر خلال حملته الكبرى على فارس وضمها إليه بدون قتال ، وقضى بها بعض الوقت وتم تتويجه فرعوناً على البلاد ورسمه الكهنة إلها أيضاً ، وهناك عدد من الرسوم المنقوشه فوق جدران المعابد المصرية تسجل هذه الأحداث الهامة .

وكان الإسكندر قد أعد خططاً لغزو باقى أنحاء العالم القديم مثل غرب البحر المتوسط وروما وغرب أوربا وباقى بلاد الهند ، ولكن وفاته المبكرة قلبت الأمور رأساً على عقب .

القبر المجهول :

فى سنة ٣٢٣ق.م وحينما كان " الإسكندر الأكبر "، فى نحو الثالثة والثلاثين من عمره فقط أصيب بالحمى وتوفى بعد ذلك بعشرة أيام وكان فى هذه الأثناء فى بلاد "بابل".

ولما كان الإسكندر لم يستخلف على امبراطوريته من يقوم بأمورها

ويحل محله فإن الامبراطورية الشاسعة تفككت واقتسمها قواده العسكريون فيما بينهم ، أما الموضع الذى دفن فيه "الإسكندر" ، فقد اختلف المؤرخون فى تحديده اختلافاً عظيماً ، وجرت مئات المحاولات فى العصر الحديث للعثور على هذا القبر ولكن لم يكتب لأحدها النجاح حتى الآن ، ويميل كثير من علماء الحفريات إلى الاعتقاد بأن الإسكندر قد دفن فى مصر وبصفة خاصة فى مدينة الإسكندرية ، التى شيدها خلال فتحه لمصر ، ولكن الحفريات التى أجريت حتى الآن فى مدينة الأسكندرية لم تؤد للكشف عن القبر المنشود ، ومن يدرى فربما يتم العثور عليه فى يوم ما .. وحتى يجئ هذا اليوم فسيظل " الإسكندر الأكبر " ، لغزاً محيراً للعالم حياً وميتاً !!



نيرون

أشهر الطغاة:

خلال الصفحات التالية سوف نتعرض للعديد من الشخيات التى حيرت العالم لشذوذ سلوك أصحابها إلى حد بعيد عن المألوف أو لطغيانهم واتخاذ قسوتهم وسوء تصرفاتهم لوناً عجيباً لم يعرف من قبل ولكن يبقى دائماً على رأس هؤلاء الطغاة وفى طليعتهم طاغية روما الامبراطور " نيرون " ، الذى يقترن اسمه دائما وأبداً بالظلم والطغيان ، ويكفى أنه أقدم على فعل لم يقم به غيره من الطغاة وهو إحراق عاصمتة وأعظم مدن العالم فى ذلك الوقت وهى مدينة روما ، بل الأعجب من ذلك أنه كان يستمتع بمشاهدة الحريق المروع وهو يغنى ويعزف على قيثارته !!

كانت حياة " نيرون " ، عجيبة وأطواره غريبة ونهاية مروعة ، وعو يعتبر مثالاً تاريخياً على الطغيان الحاكم وبطش بخصومة ومنافسيه بلا أدنى رحمة أو شفقة ، فى سعيه المحموم لاعتلاء عرش روما ، استباح دماء أقرب الناس إليه وهى أمه كما قتل الوريث الشرعى للعرش ، فكانت خطواته إلى العرش عبر طريق ملوث

بالدمـاء ، وخـلال سنوات حكـمه الـرهيب أسـال الدمـاء أنهـاراً فى مـملكته ونشر الرعب والفزع بين مواطنيه .

ولكن "نيرون"، رغم ذلك كان جباناً متخاذلاً ضعيفاً اتخذ القسوة والبطش ستاراً يوارى خلفـه نقائصـه ، وكانت حيـاة هذا الرجل مليئة بكل أنواع الشذوذ والغرائب ومثالب الحكام ، ولعل أحداً من المؤرخين لم يتعاطف معه على الإطلاق ، فهو بحق شخصية مريضة غير سوية على الإطلاق ، وبالطـبع لم يكن هو وحـده الذى ارتقى عـرش بلاده فوق جثث منافسيه فقد فعل ذلك الكثيرون ولكنه كما ذكرنا قد فاقهم جميعاً فى شذوذه وغرابة أطواره وإحراقـه لعاصمة روما مـما جعله يتربع عـلى قمة الطغـاة والسفـاحين الذين عرفـتهم البـشرية ، أذاق شعبه العذاب والهوان ألواناً كما اخـتص أهله وأصدقاؤه بجانب كبير من هذه القسـوة ، ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكـر أن قتل أمه كـما قتل أقرب معاونيه لمجرد خشيته من تهديدهم لسلطانه .

مجموعة من المتناقضات :

إن النظرة العـامة إلى الامـبـراطور " نيرون"، تؤكـد لنا أن هذا الرجل عـبارة عن مجـموعـة عجـيبة من المـتناقضات ، وأعـجب هذه المتناقضات مانلمسه من تعـارض بين مظهره ومسلكه كان "نيرون" يتمـيز بوجـه طفولى برئ وجسـد بيضـاوى رقيق ، ومـمـا أكد هذا المظهر الطفـولى لنيرون ، وجهـه الذى لم تنبت به أية شعـرة وعيناه الوديعتان ويـداه الناعمتان البضـتان ، يتميـز بحاجبين كثـيفين فوق

عينين زرقاوين وأنف روماني نبيل ، وشعر كثيف وجسد بدين ، شئ واحد فقط وسـط كل هذه المظاهر الطفولية كان يدل على الـقسوة هو فمه الذى يعبر تماماً عن كل معانى السخرية والقسوة ..

أما سلوكه فهو سلوك سفاح شـرس لا يعرف الرحمة ولا يهتز له جفن أمام تأوهات ضحايا وآلامهم التى تذيب الصخر وتفتت القلوب ، ورغم كل ماارتكبـه من جرائم يشيب من هولها الولدان ويعـجز أعتى المجرمين عن الإتـيان بها ، إلا أنه كـان جبـاناً ضعـيف الإرادة شارد الذهن زائغ العـينين ، والأعـجب من ذلك أن "نيـرون"، كان يعـشق الموسيقى ويكتب الشعر ويتذوق الفن التشكيلى .

النبوءة :

مـما يروى فى شأن " نـيرون"، أن أمه كانت امرأة تتـمتع بذكاء حاد وطموح غير محـدود ، لاتتورع عن ارتكاب أية خطيئة فى سبيل تحقـيق مآربهـا ، كان خالهـا هو الامبراطور " كـلوديوس"، وكانت والدة " نيرون"، مـصمـمة على أن يرث ولدها العـرش مهمـا كانت التضحيات ، فراحت تحوم حول " كلوديوس"، حتى نـجحت أخيراً فى الإيقـاع به وقـبل أن يتـزوجهـا رغم تعـارض ذلك مع الشـرائع السماوية الرومانية أيضاً ويقال إن أحد العرافين المصريين قد تنبأ لها بأن يصبح ابنها امـبراطوراً على البلاد ولكنه سوف يقتلهـا فأجابته قائلة : " ليقتلنى ولكن ليحكم "!!

وهكذا أعلن " نيـرون"، ولـياً لـلعـهـد بفـضل سلوك أمـه غـيـر

الأخلاقى ، وفى نفس العام حدثت مجـموعة من الكوارث الكبرى فى روما مـمـا يعد نذير شؤم .. فـقد وقع زلزال كـبير دمـر العديد من المبانى وقتل الكثيرين ، كما انتشرت المجاعة وفشت الأمراض ..

كانت الخطوة التـالية التى اتخـذتها أمه لكى تضـمن له العرش أن زوجته من ابنة الامبراطور وهو يناهز السـادسة عشرة ، بينما كانت زوجته المسكينة لاتتعـدى الحادية عشرة ، وهو فى المقام الأول زواج سياسى .

مؤامرات بلا نهاية :

ولم تتـوقف المؤمـرات فـقـد كـان من الضـرورى إبعـاد الوريث الشرعى "برتينيكوس" ابن " كلوديوس" ، عن العرش بأيّة وسيلة ، فـراحت والدة "نيـرون" ، تتـهمـه علناً بالسـفـه والجنون وتسـوق عشرات الحـجج والبراهين على ذلك حتى تحقق لها مـا أرادت ، كما نـجحت فى إقناع الامبراطور بتبنى " نيرون" علناً .

وعندما تدخل بعض المحيطين بالامبراطور " كلوديوس"، لكشف ألاعيب أم نيرون وفضح مؤامواتها بدأ الامـبراطور يتخذ منها موقفاً عدائياً ، ومالت معاملته لها إلى الجفاء ، ولكن ما أن استشعرت الخطر حـتى بادرت بدس السم لـلامـبـراطور فـقـتلتـه وأعلن " نيـرون" امبراطوراً على روما خلفـاً للامبراطور "كلوديوس" ، فى سنة ٥٤م كانت الأم تظن أن ابنها الضـعيف الشخصية الطفـولى المظهر سوف يكون أداة طيعة فى يدها تحركه كيف تشاء ، ولم تـدرك ما تضـمره

نفس هذا الشـاب من حقـد وغدر ومـا طبع عليه قلبـه من قـسوة وغلظة لا يشى بها وجهه البرئ .

نشب الصـراع بين "نيرون"، وأمـه بسـبب رغبـة كل منهمـا فى فرض سيطرته وتنفيذ إرادته ، وكان هناك عدد من الأمراء يعمل على إشعـال هذا الصراع وخاصـة شقيقـة الامبراطور الراحل الأمـيرة " دومـيسـيا ليـبيـدا" التى كان نـيرون يميل إليـها ولكن الأم الماكـرة استشعرت الخطر واتهمت الأميـرة بمـمارسة السحر ، ونـجحت فى استصدار حكم بإعدامها .

لم يسـتطع "نيرون" أن يفـعل شيـئاً إزاء تعنت والدته وتسلطـها ولكنه أضمر فى نفـسه الشر وراح يتحين الفرصة المناسـبة للتخلص منها .

البداية والنهاية :

إن البـداية فى طريق الطغيـان تكون عادة عن طريق نـفاق الرعـية وتملقهم وما يحدثه ذلك من صـدى فى نفس الحكام أصحاب النفوس الضعيفـة والغرور الكاذب ، ويقال إن " نيرون" بدأ حياته مستـقيماً يبدى حـبه وعرفانـه للجماهير التـى أعلنت حبها ومـبايعتـها له ومن أقواله فى هذه الفترة :

(إذا كانت الفـضيلة تمكننى مـن الفوز بإعجـاب العالم وإخـضاع الأمـم والشعوب فلماذا لا أكون فـاضلاً ولماذا لا تكون الفضيلة مثلى الأعلى ؟)

وترجع بلاغة "نيرون"، وبراعته الخطابية إلى تعاليم أستاذه الفيلسوف العظيم "سنيكا" ، الذى نجح فى صقل موهبته الخطابية فيه ، ولكن النفاق وحاشيه السوء والتملق المستمر والشعور بأنه السيد المطاع فى هذه الامبراطورية العظمى كل هذا جعله يتحول إلى طاغية مستبد لم يعرف التاريخ له مثيلاً .

لقد أصبح " نيرون" ، يعشق الهتاف ويقال إنه أول من خصص جوقات منظمة ومدربة بعناية مهمتها الهتاف باسمه على أنغام الطبول والموسيقى .

وفى عهده انتشر الفساد فى كل مكان وعمت الرذيلة وتدهورت الأحوال المعيشية إلى حد كبير ، وحتى يصرف الأنظار عن مساوئ عهده وفشل سياساته فإن "نيرون" عمد إلى اضطهاد المسيحيين فى بلاده وأذاقهم ألواناً من العذاب لم تعرفها البشرية من قبل ، ومن ذلك أنه كان يقدمهم طعاماً للوحوش المفترسة فى احتفالات جماهيرية صاخبة .

لم تتوقف مؤامرات "نيرون" لقتل والدته ، فى المرة الأولى تم دس السم فى طعامها ولكنها أفلتت وفى المرة الثانية فشلت محاولة إغراقها وتمكنت من الوصول إلى الشاطئ بمعجزة ، أما فى المرة الثالثة فقد نجح فريق من حرسه الخاص فى قتلها بالسيوف .. وهكذا تخلص " نيرون"، من أمه التى كان يعانى من تسلطها .. ولكنه رغم ذلك عانى مما هو أمر من تسلط أمه .. فقد تسلطت عليه الأفكار السوداء .. فجن جنونه .

كان من الواضح أنه يعانى من القلق الشديد والاضطراب الحاد فى شخصيته ، وكان سلوكه انعكاساً لهذا القلق المدمر ، فراح يقتل عشرات الآلاف من المسيحيين وسط حفلات صاخبة ، كان يشك فى كل من حوله ويخشى على حياته منهم ، ومن هؤلاء مستشاره الخاص "بوروس"، الذى دسّ له السم وقضى عليه ، كما أجبر الفيلسوف العظيم " سنيكا " على الانتحار ، وقتل أيضاً الوريث الشرعى للعرش .

ولم يقف الأمر هذا الحد فقد طلق "نيرون" زوجته " اوكتافيا"، التى كان زواجه منها وسيلة لبلوغ مآربه مما ألب عليه الشعب ، وتحوّل "نيرون"، إلى عدو لدود لكل فرد من أفراد الشعب المسكين .

وبمجرد أن اندلعت أولى المظاهرات التى تندد بالطاغية حتى أمر "نيرون" ، جنوده باعتقال الآلاف حيث تم إعدام عدد كبير منهم والزج بالأخرين فى غياهب السجون .

ومما أشعل غضب جماهير الشعب إقدام " نيرون" على الزواج بعاهرة سيئة السمعة تدعى " بوبية "، ونادى بها امبراطورة على البلاد .

وتصاعد الغضب الشعبى العارم ، وأحاطت الجماهير الثائرة بقصر "نيرون" وأخذت تطالب بإسقاطه ، وكان رد الفعل رهيباً لدى "نيرون" ، الذى أمر جنوده بالقضاء على الثورة بكل وسيلة ممكنة ، فراح الجنود يعملون سيوفهم وحرابهم فى الثوار فقتلوا منهم أكثر

من عشـرة آلاف فى مدبحـة رهيبـة بينما لاذ باقى الثـوار بالفرار أمام جحافل حرس الامبراطور التى أخذت تتعقبهم ، وفى محاولة من الثوار والمسيحيين للدفاع عن أنفسهم قاموا بإحراق بعض أحياء روما ، فـما كـان من "نيـرون"، إلا أن أمر بإضـرام النار فى كل أنحـاء المدينة بحجة تطهيرها من الدنـس والفساد بينما جلس "نيرون"، فى شرفات قـصره يعزف على قيثـارته وهو يراقب السنة النيران وهى تحصد أرواح مواطنيه وتدمر تراث حـضارة مئات السنين ، والعجيب أنه كان يبكى !!

عقب الحريق المدمـر الذى راح ضحيته عشـرات الألوف تصاعدت الثـورة الشعـبيـة فى كل أنحـاء الامبـراطورية الشـاسعـة ، وراحت الجـيوش الغـاضبـة تزحف على رومـا من كل حدب وصـوب بغيـة الإطاحة بهذا الامبراطور المجنون ..

وفى هذا الجو المشحون بالتوتر والقلق ذهب عقل "نيرون"، تماماً وراح يصدر الأوامـر المتناقضة لجنوده وأتبـاعه حيث أمـر بقتل كل حكام الأقـاليم المناهضين له ، كـمـا أمـر بذبح كل قـادة جيـوشـهم واتهمهم بالخيانة ..

وعندما رأى الجمـيع يتربصون به بادر بالفـرار من القصر وراح يهيم على وجهه وهو يتعجب من النهاية التـى آل إليها مصير " سيد العالم" كما كان يطلق على نفسه .

وفى ثورة جنونه وخـوفه حـاول أن يطعن نفـسه بخنـجـره فى

رقبته ولكنه لم يستطع لفرط جبنه وضعفه فقام بهذه المهمة سكرتيره الخاص الذى ظل معه حتى اللحظات الأخيرة ، وعقب الطعنة القاتلة سقط "نيرون" غارقاً فى دمائه وتخلصت البشرية من أحد الوحوش الآدمية التى لم يشهد لها التاريخ مثيلاً .



چنكيز خان

سفاح الشعوب:

من بين أعجب الشخصيات فى التاريخ نجد " چنكيز خان "، يحتل مكانة متميزة للغاية ، فهذا الرجل استحق منذ زمن بعيد لقب "سفاح الشعوب" ، فهو بحق السفاح الأعظم في تاريخ البشرية ويقدر بعض المؤرخين عدد ضحاياه بأكثر من خمسين مليوناً من البشر فى وقت كان تعداد عدد كبير من الشعوب العالم لا يصل إلى المليون بحال من الأحوال وهو بذلك يتفوق على سفاح العصر الحديث "هتلر"، الذى تسبب بجنونه فى إهلاك مثل هذا العدد من البشر تقريباً ولكن مع الفارق العظيم بين أسلحة هذا العصر وذاك ، وعن قسوة "چنكيز خان"، وشدة بطشه فحدث ولا حرج ، ويكفى أن نذكر أنه قد ألقى بأحد خصومه وهو زعيم إحدى القبائل المنافسة فى إناء من الزيت المغلى بعد أن وقع فى يده ، أما قسوته على الشعوب التى شاء حظها العثر أن تخضع لسلطانه فقد بلغت حداً غير مسبوق .. لقد قتل سكان عدد كبير من المدن بالكامل ولم يترك منهم فرداً واحداً ، كما أحرق جميع المبانى وأهلك المزروعات واستولى على كل الخيرات كما سيأتى ذكره بعد قليل ..

وعلى الجانب الآخر فلابد أن نذكر أن "چنكيز خان "، كان قائداً بارعاً ذا عقلية عسكرية نابهة ، ومخططاً استراتيچياً فذاً وزعيماً متمكناً موهوباً ، تميز بالبلاغة وقوة الحجة رغم أنه لم يحصل على أدنى قدر من التعليم ولم يتعلم القراءة والكتابة ، تمكن بدهائه وقوة إرادته وحسن تدبيره من جمع كلمة المغول وتوحيد قبائلهم تحت رايته ، وقد استخدام فى حروبه المتعددة إساليب مبتكرة مثل الحرب الخاطفة التى تعتمد على الهجوم المفاجئ من عدة نواحى لشل حركة خصومة والإجهاز عليهم قبل أن يتمكنوا من استعادة الوعى ، حتى أصبحت سيرة "چنكيز خان"، وجيوشه تثير الرعب والفزع فى القلوب وانتشرت الكثير من الخرافات حول القوة الأسطورية لچنكيز خان وجيوشه مثل أنهم يقذفون الحمم من أفواههم وأنهم يمتلكون أجنحة كالطير ويأكلون لحوم البشر إلى أخر هذه الخرافات .

وعن عبقرية "چنكيز خان " العسكرية وبراعته الفائقة فى تنظيم جيوشه وفى رسم الخطط يقول العسكرى الامريكى المرموق الجنرال " مكارثر" :

(لو محيت جميع أخبار الحروب من صفحات التاريخ ماعدا أخبار "چنكيزخان" لبقى لرجال الحرب معين لاينضب من أنفس المعلومات عن تعبئة الجيوش وتنظيمها ، ومهما تغيرت أسلحة القتال فلابد من الرجوع إلى الماضى ومطالعة كتب التاريخ ليحذق الجندى فنون الحرب ومبادئها الأساسية التى لا تتغير ولن تجدها ممثلة فى غير سيرة امبراطور المغول منذ سبعمائة عام) .

إن حياة " چنكيز خان " ، مليئة بالصدمات والمؤمرات والصراعات الدامية ، بـل إن مولده جاء نتيجـة استيلاء والده على إحـدى النساء الجميلات التى أعجبته والزواج بها عنوة ، كما عاش الطفل حياة مليئة بالتوتر والقلق والرعب ، شهـد فيها مصرع أقـرب الناس إليه وعانى أشد المعاناة من غـزوات قبائل المغول وهجماتهم وقـسوتهم المروعة ، كـانت أشد أنواع المعـاناة هى التى تعـرض لهـا عندما وقع فى أسـر إحدى القبائل المغـولية التى أذاقته العذاب ألواناً ، ولذلك كـان انتقامه رهيباً ليس من هذه القبيلة فحسب بل من البشرية جمعاء .

الأب والابن :

منذ قديم الزمـان وجدت هذه القـبائل الغامـضة التى أطلق عليـها قبائل المغول وتوطنت فى صحراء "جوبى" شمال الصين ، ويقال إن اسم المغول يعنى الشجاع بلغة أهل هذه القبائل ، ويقال أيضاً إنه اسم أحد الزعماء المغـول ، اشتهرت القبائل المغولية منذ القـدم بالفروسية والشجاعة وعشق الحرب والقتال ، عاشوا فى الخيام وكانت حرفتهم الأساسـية هى الرعى والصيد ، كـما اشتـهروا بالقسوة والجـبروت والدهاء والمكر والخـداع ، كانت الخيـول جزءاً لايتـجزء من حـياتهم لدرجة اعتمادهم فى غذائهم على البانها ولحومها .

فى قـبـيلة من السـلالات المـمـتـازة تدعى (التـمـرجى) ولد " يسوجاى" والد "چنكيز خان" ، وكان هو زعيم خلفاً لولده " كابول خان" ، الذى كان ذا شأن عظيم ، وتميز "يسوجاى" بالدهـاء وسـعة

الحيلة كما عرف بشدة البأس والقسوة ، وفى هذا الوقت من منتصف القرن الثانى عشر كان العداء على أشده بين قبائل المغول الذين مزقت بينهم الأحـقاد والنزاعات ولـم يعرفوا أى شكل مـن أشكال الاتحاد ، فهم برغم شجاعتهم وقوتهم إلا أنهم كانوا يمارسون هوايتهم المفضلة وهى الحرب والقتـال فيما بينهم ، وفى هذه الأثنـاء كانت العدواة بين قـبيلة (التـمرجـى) وقبـيلة (الماركت) على أشـدها ، وبينما كـان "يسوجـاى" يقوم بجـولة رأى أحد أعـدائه برفقـة عروسه الـرائعة الجـمال ، أذهلت العـروس (هولون) قلب "يسـوجاى" وبعـقليـه القراصنة قام باختطافـها من زوجها ليستأثر بها لنفـسه ويـتزوجها هو !! وقد أثمـر هذا الزواج طفلاً ذكـراً بعد تسعـة أشهر تمامـاً ، لقد رضـع هذا الطفل القلق والرعب كـما ورث عن أبيـه البطش والقـسوة والجبروت ، كـما كانت شـهـور الحمل بالنسبة لوالدته شـهور خوف وعـذاب ، ولابد أن تكون كل هذه المؤثرات قـد انتـقلت إلى هذا الطفل ليصبح فيما بعد صاحب أقسى قلب فى العالم وكان مجرد ذكر اسمه كفيلاً ببث الرعب والفزع فى كل مكان .

تيموجين :

إن قصة حياة "چنكيز خان " لهى أقرب إلى الأساطير وإن كانت قصة واقعيـة ، وأن من الواقع لحكايات أغرب من الخيال وأعجب من الأساطير .

ويقال إن فى يوم مولده قـام والده " يسوجاى"، بغزوة مفـاجئة

ضد أعدائه (الماركت) ، فهزمهم شر هزيمة وكان على رأسهم زعيمهم الشجاع الذى ظل يقاتل حتى النهاية مما أثار اعجاب "يسوجاى" ، فهو وأن كان عدواً لهذا الزعيم إلا أن الشجاع الجسور لا ينجذب إلا إلى مثله من الشجعان الأشداء المغاوير ، ولذلك اطلق اسم هذا الزعيم على ابنه فقد أسماه "تيموجين" ، ويعنى هذا الاسم (الصلب المتين) .

منذ نعومة أظفاره مارس تيموجين ، ركوب الخيل ورضع ألبان الخيول والماشية إلى جانب حكايات الحروب والقتال وهما الشغل الشاغل للمغول دائماً ، مارس رياضات الصيد وسباق الخيل والمصارعة ورمى السهام وأثبت براعة منقطعة النظير وكان دائماً يفوق أقرانه .

أسندت إليه مهام عديدة وهو صبى صغير من رعى وحراسة للخيول والماشية ، كما تم تكليفه بمهام الحراسة التى تقتضيها طبيعة حياة قبيلته المحاطة بالأعداء ، كانت عمليات المراقبة تتم فوق قمم الجبال فى أجواء سيئة للغاية من ثلوج وعواصف وأمطار .

كانت هذه المهام شديدة القسوة على صبى صغير مثل " تيموجين" ، وكان الدفع به إلى هذه المهام الخطيرة يعد سلاحاً ذا حدين ، فهو من ناحية يزيده قوة وصلابه ويكسبه مهارة ويصقل قدراته القتالية والجسدية، ومن ناحية أخرى قد يقتله أو يصيبه بعاهة دا ة ، ولكن حياة المغول القاسية ونشأتهم وسط المخاطر

والمصاعب كانت ترجح دائماً الاحتمال الأول ، وقد أدرك المغول أن شدة العناية بأطفالهم والحرص المبالغ فى تنشئتهم تجعلهم جبناء ضعفاء .

وهكذا نشأ تيموجين ، صلباً شجاعاً لا يخشى شيئاً ، كما عرف بأنه أمهر أفراد قبيلته فى رمى السهام بالإضافة إلى ذكائه وسعة حيلته وكان أحسن من يقوم برسم الخطط وأمهر من يقوم بتنفيذها بسرعة ودقة متناهية ، ولكن هذه الصفات الرائعة فى "تيموجين" ، كانت تقابلها أضعافها من الصفات السيئة مثل العنصرية الطاغية ومقت كل شعوب الأرض والرغبة فى إهلاكهم ، وعن ذلك يقول :

(فليهلك العالم لكى يسعد چينكز خان).

ويقول أيضاً :

(إن غاية ما أتمناه هو رفع شعبنا إلى مرتبة السيادة على العالم) .

وهو قول يتطابق تماماً مع رأى سفاح العصر الحديث " هتلر"، الذى كان يعمل على تأكيد سيادة وتفوق الجنس الأرى على باقى الأجناس ، وإنه الجنس الأرقى !!

ميراث الكراهية :

كانت طبيعة الحياة التى عاشها الطفل "تيموجين"، كفيلة بتنشئته نشأة قاسية خشنة رغم مظهره الذى كان لا يخلو من سمات

الجمـال ، فيروى عن صفـاته أنه كان ذا عينين رمـاديتين تميلان إلى الزرقة وجـبهة عـريضة تدل على حـدة الذكاء وسعـة الحيلة وشـعر أحمر مـميز ، ولذا فإن من الصفات الشائعة عنه أنه (صاحب اللحية الحمراء) .فى طفولته المبكرة رأى أمام عينيه جده وهو يموت بعد أن نـجح امـبراطور الصين فى دس السـم له ، وعقب ذلك بقليل شـاهد أيضـاً مقـتل أبيـه غيلة وغـدراً على أيدى رجـال من إحـدى القبـائل المغـولية المعـادية ، وربما كـانت هذه الحـادثة من أهم الأسبـاب وراء قسوته المروعـة وطغيانه الذى لم يعرف له التاريخ مـثيلاً .. لم يقف الأمـر عند هذا الحـد إذ تدهورت أحـوال أسـرته عـقب مـقـتل والده "يسوجاى" ، فقد احتفظت هذه الأسرة بوضـع متميز منذ زمن طويل وكان فيها دائـماً زعماء القبيلة ، وتم انتخاب زعـيم جديد للقبيلة من أسرة غيـر أسرة "تيموجين"، التى تدهورت أحوالهـا مادياً ومعنوياً إلى حد كبير وأصبحت تلقى الذل والمهـانة داخل القبيلة ذاتها ويشعر أفرادها بالضعف والهوان بعد سنوات طويلة من المجد والفخار ، ومن أهم الحـوادث فى تلك الفـتـرة والتى لهـا دلالة كـبـيـرة هى إقـدام "تيموجين" ، على قـتل أخيه المدعو " بايكتار" ، عـقب نزاع بينهما وكان "بايكتار" ، هذا أخاً غـير شقيق لتيمـوجين" ، وقد حزنت أمه حزناً شديداً وخاصمته لعدة شهور .

وعندما كان فى بداية سن الشباب تزوج من إحدى جميلات المغول وتدعى "يورناى" ، وقـد تميزت هذه الفـتـاة بجمـال خلاب وفـتـنة

طاغية ، ولكن "تيموجين" تعرض من خلالها لواحدة من أشد الصدمات التى حفلت بها حياته ، فقد نجحت قبيلة (الماركت) المغادية فى اختطاف زوجته ، وهكذا يعيد التاريخ نفسه وتثأر القبيلة لنفسها من ابن "يسوجاى" الذى اختطف إحدى فتياتها وتزوجها ، ومما يذكر أن "تيموجين" ، قد نجح فى استعادة زوجته بعد ذلك ، ولكنه خلال الفترة التى فقدها فيها عانى أشد أنواع الذل وترسبت فى أعماقه مرارة الحقد وأقسم على أن يذيق أعداءه ألواناً من العذاب .

المحنة الكبرى :

أما أشد المحن التى تعرض لها " تيموجين" ، (والذى لم يعرف باسم "جنكيز خان " إلا بعد أن أصبح امبراطوراً عظيماً) ، فهى الوقوع فى أسر قبيلة معادية وهى قبيلة " التايدجوت" ، لقد حاصر فرسان هذه القبيلة أسرة "تيموجين" ، حصاراً قاسياً فى الجبال كان من المستحيل عليهم الهروب وكان شرطهم لفك الحصار هو تسليم " تيموجين"، إليهم .. وتحت هذا الضغط الرهيب لم يكن أمام الأسرة مناص من الأذعان ، وهكذا أصبح "تيموجين" ، أسيراً فى أيدى أعدائه .. لم يكن أسيراً عادياً فالقبائل تعرف مدى الخطر الذى يمثله ، ولاينسى أحد ما فعله أباؤه وأجداده بهم من قبل ، كما أن "تيموجين"، كان شديد الخطر متعدد المواهب .

وللحد من خطورته قامت قبيلة "التايدجوت" ، بوضع إطار ضخم

من الخشب حول عنقه ، كان هذا الإطار ضخماً وثقيلاً إلى حد كبير ، ولم يتقصر الأمر عند هذا الحد فقط بل قيدوه بالسلاسل الثقيلة ووضعوه فى السجن لضمان عدم هروبه ، وكانت تلك المحنة من أشد المحن التى مرت بحياة "تيموجين" ، وكان لها صدى هائل فيما بعد ، فقد كانت من أهم الدوافع التى جعلته يصب على أعدائه ألواناً من العذاب الرهيب فكان بذلك ينتقم لأسرته ولنفسه ولكرامته الجريحة ولكبريائه المهدرة حتى صارت القسوة سمة من سماته المميزة .

بداية الأسطورة:

لم يكن "تيموجين"، مجرد أسير عادى كباقى الأسرى الذين يقعون فى أيدى القبائل المغولية المتحاربة دائماً ، فإنه برغم محنته الكبرى وقيوده القاسية إلا أن عقله الجبار كان متحرراً من الخوف والأسر ، ومن خلال قدراته المميزة تمكن من اجتذاب عدد من الأصدقاء الذين كان فى أشد الحاجة إليهم للخروج من أزمته الكبرى ، ومن أهم هؤلاء الأصدقاء أحد مشايخ القبائل ويدعى " طوغريل " ، وكان صديقاً حميماً لوالده وكان هذا الرجل ذا نفع عظيم له فيما بعد .

نجح "تيموجين" ، فى الهروب من سجنه الرهيب بطريقة رائعة أثارت حماس الكثيرين من المغول وألهبت خيالهم وذكرتهم بأجداده العظماء أصحاب المجد والقوة ، وهكذا بدأت الأسطورة الكبرى وكانت

البداية الحقيقة لبزوغ نـجم "چنكيز خان " امبراطور الدنيا .

التف حول الفـارس الجبار عدد كبـير من فرسان المغـول البواسل كما استطاع عقـد تحالف وثيق مع " طوغـريل" (ويقـال إنه كـان عمه) ، بلغ تعـداد جيش " تيموجين" ، نحو ثلاثة عشـر ألف مقاتل من خـيرة شـباب المغـول وأكثـرهم إيماناً بقـدراته ، وبدأت أسطورة ظهور فاتـح عظيم من بين المغول فى الانتشار بين القبائل ..

كانـت هذه الأسطورة تدور حول خـروج فاتـح عظيم من المـغول يقوم بتـوحيـد صفوف المغـول والقضـاء على المنازعات القـائمة بين القبائل من أجل السـيطرة على العالم وفتح المـمالك الكبـرى ليصبح المغول هم سادة العالم .. وراح المغول ينشرون هذه الأسطورة فى كل مكان ويتشغنون بها حـتى كاد الأمر يصـل إلى درجة اليقين ، ومــما لاشك فـيه أن وراء انتـشار هذه الأسطورة تدبيـراً محكمـاً وتخطيطاً رائعاً من الفارس "تيمـوجين" ، الذى أدرك منذ عشرات السنين مدى خطورة الدعايا المكثفـة لتحقيق أغراضه ، ونسـتطيع أن نقول تجاوزاً أن ما حدث يشبـه إلى حد بعيد الحملات الإعلانيـة المكثفة التى يقوم بها أفراد أو هيئات من أجل الترويج لأهدافها أو منتجاتها .

أخذ " تيموجين"، يدرب جنوده على فنون الحرب والقتال ويغرس فى نفـوســهم الـولاء والإخـلاص له ويروج لفكرته التـى تنص على تفوق المغول على سائر الإجناس .

الإعصار:

كان "تيموجين"، يؤمن تماماً بأن شأن المغول لن يرتفع ولن تقوم لهم قائمة وهم متفرقون متحاربون يقاتلون تحت رايات مختلفة ، وفى نفس الوقت كانت نيران الحقد والانتقام تعصف به وتستحثه على الثأر لنفسه ولأسرته من قبيلة "التايدجوت" ..

ومعركة المركبات هى أولى المعارك فى سلسلة الحروب والغزوات التى خاضها جيوش المغول تحت قيادة "تيموجين" أو " چنكيز خان" ، قاد جيشه القوى فى هجمة مباغته أحسن التخطيط لها وكان هدفه منها إخضاع قبيلة "التايدجوت" ، ولم يستغرق الأمر أكثر من يوم واحد فقط ؛ وفى نهايته كانت قواته قد حققت انتصاراً ساحقاً ، وقد أطلق على هذه المعركة "معركة المركبات"، لأنه قام بهجماته تحت ستار من حماية العربات والمركبات .

وكان انتقامه من زعيم القبيلة رهيباً .. فقد ألقاه حياً فى إناء من الزيت المغلى فى صورة من أبشع صور الانتقام التى عرفتها البشرية ، أما باقى أسراه فقد أمر بقتلهم عن اخرهم بلا رحمة .

إن ما فعله " تيموجين " من فظائع بقبيلة " التايدجوت " بالإضافة إلي الأسطورة التي روّج لها أتباعه من قبل جعل القبائل المغولية تأتيه تباعاً وتعلن خضوعها وولاءها الكامل له ولم يشذ أحد من المغول عن هذا السلوك ، وهكذا أصبح "تيموجين" هو القائد والزعيم الأوحد لهذه القبائل المقاتلة التى كانت تضم أعظم المحاربين

في ذلك الوقت ، ولكن العالم لم يكن قد عرف شيئاً بعد عن المغول ..

تميز سلوك "جنكيز خان" ، دائماً بالغدر والخسة ، فبعد أن صار له جيش عظيم وبعد أن أصبح الزعيم الأوحد للمغول استدار إلى حليفه "طوغريل" وقتله بلا رحمة حتى لا ينازعه سلطانه يوماً ما .

استعان على تحقيق أهدافه بمختلف الطرق والوسائل .. فهو تارة يعمد إلى التهديد والإرهاب وتارة يلجأ إلى الحكمة والدبلوماسية وقد يضطر إلى بذل الوعود حتى ينجح فى تحقيق أول أهدافه وهو توحيد المغول وبناء جيش قوى لم تعرف الدنيا له مثيلاً .. ويرجح بعض المؤرخين أن تعداد هذا الجيش تعدى المائة ألف مقاتل ، ثم تضاعف عدة مرات بعد غزواته التالية ..

كانت امبراطورية الصين هى الهدف الأول ونقطة البداية فى غزو العالم ، ورغم أنها من الامبراطوريات الكبرى إلا انها كانت تعانى عوامل التفكك والتحلل التى ساعدت على القضاء عليها .

ونشير هنا إلى نقطة هامة للغاية ، فبالرغم من الهالة الأسطورية التى أحاطت بالمغول وقوتهم الرهيبة وجيوشهم التى لا تقهر إلا أن العامل الأساسى فيما تحقق لهم من انتصارات هائلة هو ضعف وتخاذل الدول التى قاموا بغزوها ، كانت معظم هذه الدول تعانى من الصراعات الدامية على السلطة وكثرة الفتن والمؤامرات الداخلية ، ولاننكر بالطبع حسن تنظيم جيوش المغول وبراعتهم القتالية والأسلوب الذى ابتدعه "جنكيز خان"، من الهجوم المفاجئ الذى لا

يترك فـرصة لعدوه لكى يفكـر أو يتدبر أمره وكـان قد أطلق اسم "چنكيز خان " فى سنة ١٢٠٦ عقب اجتماع زعماء القبائل المغولية ، وكان هذا الاسم يعنى (مـبعوث السماء) ويتـرجم أيضاً إلى (أعظم الحكام وامبراطور البشر جميعاً) .

الدمار الرهيب:

انعكست قسـوة "چنكيز خان "، ووحشيـته على كل جندى من جنوده ، شـهد غزوه للـصين أولواناً من الوحشـية والبـشاعـة كانت مقدمة لما سيشهده العالم بعد ذلك من مجازر رهيبة قام بها المغول ، لقد أبادت قوات "چنكيـز خان " مدناً بأكملها وسـوتها بالأرض بعد نهبها بالكامل وقتل جميع سكانها بلا رحمة ، لا فرق عندهم بين طفل وامرأة وعجـوز كان "چنكيز خان "، يـحصل من الغنائم على الثلث ويتـرك الثـلثين لجنوده ولهم أن يفـعلوا مـا يشـاءون فـى الـبـلاد المفتوحة ، ولا تسل عن الأعمال الوحشية التى ارتكبها المغول فى هذه البلدان المنكوبة من اغـتصـاب للنساء وبقـر بطون الحوامـل وإحراق مدن بأكملها ويقال إن المغول قتلوا أكثر من نصف مليون صينى قبل أن يعودوا إلى بلادهم ثانية ، وكان چنكيز خان قد اتخذ مدينة "قرة تورم"، عاصمة له ، وتوجد هذه المدينة فى جمهورية منغوليا حالياً .

وتعاظمت ثقة "چنكيز خان"، بنفسه وتعاظم غروره ، ومن أقواله التى توضح ذلك :

(إن فى السماء قوة الشمس ، أما على الأرض فقوة الخان) .

وكانت راية "چنكيز خان " ، عبارة عن ذيول تسعة من الوعول ، وكانت هذه الراية كفيلة بإلقاء الرعب فى قلوب أشجع الفرسان .

بعد أن انتهى أمر الامبراطورية الصينية اتجهت أنظار "چنكيز خان " نحو امبراطورية خوارزم الإسلامية الكبرى التى كانت تعانى بدورها من الخلافات والنزاعات السياسية بين حكامها ، ولم يقدر الحكام مدى خطورة التهديدات المغولية واتخذوا حطوة تدل على الجهل والغرور .. فقد أرسل إليهم "چنكيز خان"، برسله ليدعوهم إلى التسليم بدون قتال ولكن امبراطور خوارزم أمر بقتلهم فكتب بذلك شهادة وفاة امبراطوريته ..

لقد فعل "چنكيز خان "، بامبراطورية خوارزم مالم يفعله فى الصين حيث كان انتقامه مضاعفاً ، لقد عاث المغول فى البلاد فساداً وألحقوا بها دماراً مهولاً ، فدمروا كبريات مدنها التاريخية مثل " لاهور" و"مولتان" و" بخارى" ، وسويت عدد من المدن بالأرض تماماً ، وها هو المؤرخ الاسلامى " ابن الأثير"، يتحدث عن هذه المأساة المروعة ويقول فى كتابه الشهير (الكامل فى التاريخ) :

(من يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى وكنت نسياً منسياً .. لقد شقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة وقتلوا النساء والرجال والأطفال) .

وفى مدينة بخارى العريقة ارتكب المغول أشد الفظائع ، فقد أحرقوا المدينة بالكامل واعتدوا على النساء وبقروا بطون الحوامل وتركوا

الأطفال مشردين فى العراء وداسوا نسخ القرآن الكريم بالأقدام وبحوافر الخيول ، وأخذوا يشربون الخمر ويصخبون فى المسجد ويمتهنون حرمته ويسخرون من العلماء ويحقرونهم قبل أن يقتلوهم .. وراح الطاغية ذو اللحية الحمراء يخطب فيهم قائلاً :

(إنى نقمة الله على الأرض ولابد أنكم تستحقون العقاب لأن الله ساقني إليكم) .

وبعد سلب كنوز المدينة وأموالها طلب "چنكيز خان " من أهلها مغادرتها لا يحملون معهم شيئاً ويصف ابن الأثير هذا المشهد المؤلم ويقول :

(وكان يوماً عظيماً من البكاء من الرجال والنساء والولدان .. وأصبحت بخارى خاوية على عروشها) .

أما مدينة "سمرقند" و"الرى" ، فقد لحقهما مالحق "بخارى" من دمار وخراب بل إن المغول قتلوا كل سكان مدينة "الرى"، ولم يغادروا منهم أحداً .

ومن أبشع صور التنكيل والتعذيب التى تعرض لها ضحايا المغول ما تعرض له سكان مدينة " ترمذ" المساكين ، فقد ادعت إحدى النساء إنها تمتلك جوهرة ثمينة ابتلعتها لتحميها من الضياع ، وإنها على استعداد للتنازل عنها للمغول مقابل إطلاق سراحها ، فما كان من الطاغية "چنكيز خان " إلا أن أمر جنوده بشق بطون جميع أهل المدينة الأحياء والأموات للبحث عما يكون مخبأ فيها من كنوز !!

وعندما علم المغول عن طريق بعض جواسيسهم أن الأحياء يرقدون وسط الأموات للهروب من القتل أمر الطاغية جنوده بفصل رأس كل من يقتلونه للتحقق من موته بالفعل !!

ولضمان القضاء على أهل البلدان التى نكبت بغزوهم كانوا يعمدون قبيل مغادرتهم لها إلى حرق المحاصيل ومخازن الغلال حتى لا ينتفع بها أحد من الأحياء الذين نجحوا فى الفرار بوسيلة أو بأخرى ، ولم يكن أمام هؤلاء المساكين وسيلة للنجاة .. والذئاب تتربص بهم من ناحية والجوع والفزع ينهش أجسادهم من ناحية أخرى ، أما فى مدينة خوارزم فبعد أن طال بالمغول حصارها فتحوا السد الذى يحجز عنها مياه النهر لتغرق كلها !!

إنها بالفعل صور مأساوية بشعة تدل على مدى وحشية هذا الامبراطور الدموى الذى لا يعرف الرحمة والشفقة .

النهاية :

من الجدير بالذكر أن "جنكيز خان" ، نجح فيما فشل فيه عدد من كبار الفاتحين فى التاريخ وعلى رأسهم "نابليون" و"هتلر"، ونقصد بذلك فتح روسيا ، لقد كانت هذه المحاولة هى القاضية على أحلام الزعيمين ، أما "جنكيز خان" ، فقد نجح فى فتح روسيا بواسطة جيوشه الرهيبة التى اكتسبت المزيد من القوة والخبرة بالإضافة إلى الدعايا الهائلة التى أحاطت بها .

وقد تـعرض كل من تصـدى للمغـول للقتل والفناء ومنهم حـاكم كييف نفسه ، بل إن "چنكيـز خان "، نـجح فى إبادة جيش قوى تم تشكيله من الروس للتصدى للمغول ، وكان قوام هذا الجيش ٨٢ ألف مقـاتل ، وبعد أن أخـضعوا روسـيا لسيطرتهم تـقدموا لغـزو المجر وبولندا .

ويذكر المؤرخـون أن ما حـققه "چنكيـز خان " ، من مـجد عظيم وفتـوحات هائـلة يرجع بجانب عـبقـرية "چنكيز خـان"، وقـدراته العالية ، إلى استعانته بعدد من خيرة القادة العسكريين والمستشارين الأكفاء وعلى رأسـهم "بليوتشوتزاى" ، السيـاسى القدير الذى كان يعمل فى خـدمة امبراطور الصـين قبل أن يختاره " چنكيـز خان "، لخدمته ، ويقال إنه اسـتطاع الحد من الدمار والخراب فى العديد من البلدان التى فـتحهـا المغول ، كـما حافـظ على العديد من السـجلات والمخطوطات والقطع الفنية التى تم الاستيلاء عليـها فى عدد كبير من البلدان ، ومن أعظم القواد أيضاً "سابوتى" و"موهولى ".

ولكن مـاتزال هناك نقـاط غامـضة فى خـطط "جنكيز خـان " ، البـارعة وأعمـاله الإدارية والحربيـة الرائعـة ، ويقال إنه حـزن أشد الحزن على أكبر أبنائه الذى قتل فى معارك غزو روسيا ، وقد اضطر "چنكيز خان " ، للاعتكـاف فى خيمته عقب مرضـه وتدهور صحته واضحلال قواه ، وقد توفى عن عمر يناهز الثانية والسبعين وذلك فى سنة ١٢٢٧ .

ومـما يذكـر أن "چنكيز خان " ، لم يهـزم قط خلال حياته كـما أحسن تنظيم امـبراطوريتـه الضـخمة ولـذلك ظلت باقية عـقب وفاته حيث خلفه أبناؤه .



روبسبير

بين المثالية والجنون :

إن "ماكسيليمان روبسبير" ، يعتبر أحد الذين اختلفت حولهم الآراء اختلافاً بيناً فمن قائل إن هذا الزعيم الثائر بلغ قمة المثالية وكان أعظم نصير للفضيلة وخير من يعبر عن طهارة اليد وبراءة الذمة ، ورأي آخر يقول إن "روبسبير"، كان رجلاً به هوس وخبل ولا يمكن أن يكون إنساناً عادياً بحال من الأحوال ، ويقول آخرون إنه كان ديكتاتوراً متسلقاً تعدى حدود العدل والرحمة وجعل نفسه قاضياً وجلاداً فى نفس الوقت فأزهق مئات الأرواح دون وجه حق ونشر الخوف والإرهاب والرعب فى أرجاء فرنسا .

وقد تضاربت الأراء حول شخصية "روبسبير " ، إلى حد كبير ويرجع ذلك إلى كثرة الذين قاموا بالكتابة عن الثورة الفرنسية فكان لكل منهم ميوله واتجاهاته وتجاربه الشخصية ولذلك فهو يكتب من زاويته هو ، ويعكس مايراه ومايشعر به ، فبعض مؤيدى الثورة الفرنسية لم يقسوا فى حكمهم على "روبسبير" ، رغم إقرارهم بتطرفه وعنفه واعتبروا أنه رجل مثالى حاد عن الطريق ليصبح متطرفاً ، أما الذين اكتووا بنار الثورة الفرنسية وفقدوا أموالهم أو

ذويهم فإنـهم لم يروا فى "روبسبـير" ، وغيـره من زعمـاء الثورة سـوى حـفنة مـن المجـانين والمتطرفين الذين ولـغـوا فى دم الأبرياء كالوحـوش المفتـرسة ، وبين الفـريقين مجـموعة من الكتـاب تناولت الأمر بصورة موضـوعية إلى حد بعيد وحـاولت نقل صورة صادقة عن هذا الرجل وغـيره من رجـال الثـورة الفرنسـيـة ، وعلينا ونحن نقترب من هذه الشخصية ، شخـصية "روبسبير" ، أن نحكّم عقولنا ونسأل قلوبنا ..

ويمكن أن نوجز حياة " روبسبـير" ، فى هذه العبارة : " لقد بدأ بـداية رائعة وانتهى نهاية بشعة ".

ويمكننا أن نقارن بين البداية والنهاية لندرك ذلك بوضوح ، ويكفى أن نذكـر أن العام الذى انفـرد فيـه "روبسبـير" بالسطلة وهـو عام ١٧٩٣ - ١٧٩٤ ، كان أسـوء أعوام فرنسـا على الإطلاق ، ويقال إن عدد الذين تم إعـدامهم فى هذا العـام يفوق عـدد الذين أعدمـوا خلال مائة عام فى فرنسا !!

فأين ذلك من الشـاب المتحـمس الأنيق الحريص على الفـضيلة إلى حد كبـير ، الذى اعتنق مبادئ الثـورة الفرنسية الشهـيرة ، الحرية ، والإخاء ، والمسـاوة ، ذلك الشاب الذى ناضل نضال الأبطال للقـضاء على النظام الملكى والتخلص من ظلم النبلاء والإقطاعيين ؟!.

المحامى الأنيق :

ولد "ماكسيليمان روبسبـير"، عام ١٧٥٨ فى أسرة فقيرة بمدينة

"اراس" ، الفرنسية وفى ذلك الوقت كان الفرنسيون يعانون أشد المعاناة من ظلم الحكام وطغيان النبلاء والاقطاعيين وأيضاً كبار رجال الدين ، وكانت آراء كبار الفلاسفة مثل " روسو" و"فولتر" و"ديدرو" عن الحرية والعدالة والمساواة من أهم العوامل التى دفعت الفرنسيين للنهوض والوقوف فى وجه جلاديهم الذين استعبدوهم طويلاً .

وقد عانى " روبسبير" ، مثل ملايين الفرنسيين من عامة الشعب من الفقر والحرمان وكان يحلم مثلهم بالتخلص من هذه الأنظمة الفاسدة والعيش فى دولة حرة يسودها الإخاء والمساواة والعدل .

شق " روبسبير" ، طريقة بقوة وعزم حتى أنهى دراسته القانونية ومارس مهنة المحاماة فى مدينة "اراس" ، كان مظهره عادياً بقامته المتوسطة وجسده النحيل ورأسه الكبير ولكنه تميز بقدرته الخطابية وبلاغته المؤثرة وأناقته المفرطة وأدبه الجم وحرصه الشديد على الفضيلة وآداب السلوك .

وبدأ نجم روبسبير، فى الصعود فى نفس العام الذى بدأت فيه شرارة الثورة الفرنسية وكان أحد الذين ساهموا فى اندلاع لهيبها .

الزعيم المتطرف :

بدأ روبسيير يخوض معترك الحياة السياسية مبكراً ، وقد أهلته قدراته الخطابية والإنشائية وحماسه الشديد ليتبوأ مكان الصدارة

بين الثـوريين المتطرفين ، كانت الأوضـاع فى فرنسـا متردية للـغاية والجميع يترقبون حدثاً غير عادى وإن لم يعرفوا كنهه .

فى عام ١٧٨٩ انتخب "روبسبير" فى الجمـعية الوطنية الفرنسية وكـان من الأعضـاء المؤسسين لأحـد الأحـزاب الثورية المتطرفـة فى فرنسا والذى عُرف باسم " نادى اليعاقبة " ، وراح يهاجم سياسات الحكومة وينادى بالحرية والعدالة .

وفى الرابع عـشـر من يوليـة سنة ١٧٨٩ اندلعت أحـداث الثـورة الفرنسية واقـتحمت جموع الشعب الثائرة سجن البـاستيل الذى كان يمثل رمـز للظلم والطغيـان ، وبدأ عصـر الثورة الفـرنسيـة وأصبح زعماء فرنسا هم زعماء الثورة ومنهم "روبسبير"، الذى استطاع أن يستحوذ على حب وتأييد جموع الفرنسيين البسطاء ، وقد استند إلى هذا التأييـد الكاسح فى تحقيق طـموحاته الكبـرى وفى التخلص من منافسيه واحداً بعد الآخر .

فى يوليه من عام ١٧٩٣ استطاع أن يسيطر على لجنة الأمن العام فى باريس بعد أن تخلص من جميع منافسيه ، وعلى رأسهم عدد من زعمـاء الثورة الفرنسيـة مثل " دانتون" و" هيبـير" و" ديمولان"، وكـانت لجنة الأمن العـام بمثـابة حكومـة فرنـسا الثـورية وأصـبح "روبسـبيـر" ، على رأسـها فى هـذا العام وبدأ فى فـرنسـا عصـر الإرهاب والرعب .

عصر الإرهاب الأسود:

ذكرنا أن بداية "روبسبير" كانت رائعة ، ولنا أن نتخيل شاباً نحيلاً ذا صوت هادىء ولكنه عظيم الأثر ، عانى من الفقر وعاش حياة الذل والحرمان ، يحدث الشعب عن أحلامه وآماله فى إقامة مجتمع الفضيلة القائم على مبادئ الثورة الشهيرة " العدل والحرية والمساواة " ، تلك المبادئ التى كان لها فعل السحر فى الشعب المسكين .

ولكى يقيم روبسبير مجتمع الفضيلة راح يتخلص من خصومه ومنافسيه بلا رحمة ، وعندما أصبح هو الزعيم الأوحد فى فرنسا ارتكب من الفظائع والأهوال مالن يمحوه التاريخ أبداً ، وصارت سكين المقصلة هى أداته المفضلة فى إقامة مجتمع الفضيلة !!

وعن محكمته الثورية الرهيبة يقول الجنرال " جوفيون دى سان سير "

(كانت هذه المحكمة لا يقبل أمامها محامون ، وشخصية المبلغ لا تظهر أمامها ولا يجئ ذكر اسمه ولا يواجه من أبلغ عنهم ، لا أوراق لهم ولاسجلات وحتى الحكم لايدون ولا الاستجواب . . إنما كان الأمر يجرى شفاهة .. يقبض على المتهم فى الساعة الثامنة ويحاكم فى التاسعة ويعدم رمياً بالرصاص فى العاشرة وكانت ترصد مكافأة مالية للمبلّغ دون أن يظهر اسمه بأى حال) .

وهكذا كانت آلاف الرؤوس تقطع لمجرد شبهات ظالمة .

ويقدر البعض عدد الذين صدر ضدهم حكم الإعدام خلال عصر "روبسبير" ، بنحو سبعة عشر ألفاً ، أما عدد الذين تم إلقاء القبض عليهم وأودعوا السجون فيزيد عن ثلاثمائة ألف .

وكانت التهمة التى توجه دائماً للمتهمين أنهم أعداء الثورة ، وهى تهمة واسعة فضفاضة وفى نفس الوقت كافية لوضع رقبة المتهم تحت سكين المقصلة (الجيلوتين) ، بدون محاكمة ، وقد ارتكب "روبسبير" من الفظائع فى سنة واحدة مالم تشهده فرنسا خلال مائة عام من الظلم والطغيان ، وتحول داعية الثورة المتطرف إلى أكبر إرهابى عرفته فرنسا فى تاريخها ، وكانت الفترة من يوليه ١٧٩٣ حتى يوليه ١٧٩٤ هى أصعب سنوات فرنسا حقاً .

الخطأ القاتل:

ومن حسن حظ الشعب الفرنسى أن وقع " روبسبير" ، فى خطأ قاتل عجل بنهايته وكان هذا الخطأ تتويجاً لسلسلة من الأخطاء والممارسات الوحشية منها الغاؤه للديانة المسيحية والدعوة إلى عبادة العقل ، كما ألغى التقويم الميلادى وابتدع تقويماً آخر بديلاً عنه ، بالإضافة إلى تطرفة وظلمه وإزهاقه لآلاف الأرواح دون وجه حق .

وكان خطؤه القاتل هو إصدار قانون يحرم أعضاء البرلمان من

حصـانتـهم البرلمانيـة ، وقد صـدر هذا القانون فى ١٠ يونيـة سنة ١٧٩٤ ، واعتبره الأعضاء سيـفاً مسلطاً على رقابهم ، كان يرمى إلى التخـلص من كل معارضــيه بواسطة هذا الـقانون العجـيب ، وبدافع الخوف على أرواحهم قرر الأعضــاء الإطاحة بالطاغية وتزعم المؤامرة "تاليان" و"باراس" ، حيث تم تجهيز قوة عسكرية توجهت إلى دار البلدية وتم القبض على " روبســبير" ، عقب إصابتـه برصاصة فى فكه ، وتمت مـحاكمـته وأدين بتـهمة الخـيانة العظمــى وصدر الحكم بإعدامه حيث أعدم بالمقصلة فى يوليه عام ١٧٩٤ ، ليشرب من نفس الكأس التى أذاقها للآلاف من التعساء .

★ ★★

محمد على باشا

مؤسس أقوى دولة فى الشرق:

من المفـارقات العـجيـبة أن هذا الجندى البـسيط القـادم من ريف اليونان ضـمن القوات العثـمانية يصـبح هو حاكم مصـر ومؤسس نهـضتـها الحـديثة ولم يقف الأمـر عند هذا الحـد بل إنه نـجح فى إلحـاق الهزيمة بالدولـة العثـمانيـة ذاتهـا واستـولى على العـديد من أملاكـها فـى الشرق ليـضمـها إلى امـبراطوريتـه التى جعل مـصـر مركزها ، ولما كـان "محمد على" ، يتمتع بذكـاء خارق ودهاء شديد وطموح لاتحده حدود ، فقد واصل جـهوده الرائعة لبناء مصر على أسس مـتينة مـن العلم والقوة جنـباً إلى جنب وكـان يعلم أن العـقل بحاجة إلى نور المعرفة لكى يتحرر مـن قيود الخرافات البالية وينطلق إلى عالم الـبناء والإبداع فأنشأ المـدارس والمعاهد إلى جانـب المصانع المتنوعة وأعاد تكوين الجيش على أسس سليمـة واستقدم الخبراء من الدول الغـربية لتـدريب الجنود ، كمـا اهتم بتـسليح الجيش بأحـدث أسلحة ذلك العصر ، قام بخطوة جـريئة تدل على مدى طموحه حيث بنى أسطولاً كبيراً يحمى شواطئ مصر ويكون وسيلتها لنقل جنودها إلى كل مكان .

في عهده أصبحت مصر أقوى دولة في الشرق الأوسط وتحقق لها العديد من الانتصارات الكبرى ، مما دفع "محمد على " إلى طلب المزيد والمزيد ، وكان خطؤه الأكبر أنه قام بتهديد أوربا ذاتها وكان في إمكانه غزو اليونان وغيرها من الدول الأوربية بعد أن حقق بعض الانتصارات مما نبه الدول الأوربية وروسيا إلى خطورته ، فاتفقت عليه هذه الدول وقررت تحطيم قوته العسكرية وتقييد قدراته وفرض القيود على تحركاته حتى لا يشكل أى تهديد في المستقبل .

ولا يختلف اثنان على أن "محمد على "، أحد العلامات البارزة خلال القرن التاسع عشر ، وأنه نجح في تحقيق الحلم بحكم مصر وهو لم يكن مصرياً وليست له أية جذور شرقية على الإطلاق لكنه كان أكثر الجنود العثمانيين ذكاء ودهاء وسعة حيلة ، وتمكن بدهائه من الاستحواذ على قلوب المصريين ودفعهم دفعاً إلى المطالبة به حاكماً عليهم بعثوراتهم وانتفاضاتهم ضد حكامهم من المماليك ، ولا يمكن أن تمر سيرة "محمد على باشا" ، دون ذكر حادثة القلعة الشهيرة التي توضح بجلاء مدى سعة حيلة هذا الرجل وإصراره على بلوغ غايته مهما كانت الصعاب التي توجهه .

لقد نجح عدد كبير من صغار الجنود وصعاليك الشعوب في عدد كبير من البلدان في الوصول إلى سدة الحكم ، ولكن قليلاً منهم هم الذين بلغوا مثلما بلغ " محمد على " ، من مجد وقوة ، ذلك بالإضافة إلى استقرار حكم أسرته في مصر لمدة ١٤٧ عاماً وانتهت بقيام ثورة

يوليـه ١٩٥٢مـمـا يدل على مـدى عـبـقـرية هذا الرجل وحـسن سياسته وبعد نظره .

إن من ينظر إلى صـورة هذا الجندى الريفـى البسـيط القـادم من سواحل اليونان مساعداً لقائد إحدى الفرق الصغيرة لايكاد يصدق إنه هو ذاته "محمد على باشا" ، والى مـصـر وصاحب الجيوش الجرارة والأساطيل الحديثة ومؤسس النهـضة الكبرى التى أحدثت نقلة هائلة لشعب مصر من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

نبوءة عرافة يونانية :

إن حياة " محمد على " حافلة بالأحداث المتلاحقة والمشاهد المؤثرة التى تجعلنا نشعـر بالإثارة البالغة ، وقد تناول عدد كبـير من الكتاب الأوربيين والعرب سـيرة حيـاة هذا القائد العظيم ونقبـوا فى تاريخه وبحـثوا عن جـذوره حتـى تمكنوا من الإحاطة بكـل مايتـعلق به من تفاصيل وأحـداث ، وحينما نصل قديم هذه الأحداث بحديثـها سوف تتوافـر لنا صورة واضـحة تماماً عن هـذه الشخصـية المـميزة التى حيرت العالم زمناً .

ولد " محمد على " على أرجح الروايات فى عام ١٧٦٩ م (ذكرت بعض المصـادر على أنه ولد ١٧٧٠ م) فى إحـدى القرى الصـغيـرة الواقعـة على ساحل بحر إيجـه باليونان ويطلق عليهـا العرب اسم " قولـة " وتحتل هذه القـرية صخـرة تمتد إلى داخل بحـر إيجه تـبدو للناظر إليها عن بعد على هيئـة رأس جواد فاطلق عليها قديماً اسم "

لاكوال " أى الجواد باللغة اللاتينية (أو الإغريقية) وتم تحريف الاسم بعد ذلك إلى كافالا " التى حرفت بدورها لتطلق بالعربية " قولة " ، وهى تقع على بعد حوالى ٨٠ كيلومتراً من مدينة " سالونيك " و ٣٨٠ كيلومتراً من مدينة " استانبول " التى كانت عاصمة للدولة العثمانية إبان مجدها الغابر وكانت تعرف وقتها باسم " الأستانة " .

ولد " محمد على " فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية هى أقوى دول العالم حيث امتدت أملاكها عبر ثلاث قارات هى أوربا وآسيا وأفريقيا ، وعلى الصعيد الأوربى فقد امتد سلطانها إلى وسط أوربا بما فى ذلك دول البلقان اليونان وألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا وأيضاً دول المجر وتشيكوسلوفاكيا وبعض أجزاء من النمسا ، وقد أطلق على هذه البلاد " الروملى " أى بلاد الروم حيث إنها كانت خاضعة للدولة الرومانية زمنا طويلاً قبل أن يضع العثمانيون أيديهم عليها .

ومن بين هذه المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية قرية قولة الصغيرة التى تتميز مبانيها الصغيرة بالجمال والدقة والتناسق ، وهى قرية تقع أجزاء كبيرة منها فى البحر الذى يعد أحد موارد الرزق الأساسية لسكانها البسطاء ، وفى هذه القرية الصغيرة تمت زراعة أنواع رائعة من الأزهار والأشجار مما أضفى عليها طابعاً خاصاً ، وإلى جانب ذلك انتشرت قطعان الماشية ترعى عبر المساحات الكبيرة من الأعشاب الخضراء المنتشرة فى السهول وفوق التلال .

فى دار " جنتكمـان " ولد " محمـد على " وهى عبـارة عن بيت بسيط هادئ أقـيم على إحدى الروابى المنتـشرة فى القـرية ، ويجمع المنزل بين الطرازين التركى واليونانى المنتشر فى بلاد الجنوب ، ومن الجدير بالذكـر أن هذه الدار مازالت قائمـة حتى يومنا هذا فـقد اهتم عدد من اليونانيين الذين عـشقوا مصر بها فـقاموا بترميمـها وتركها على نفس الصورة التى كانت عليها يوم ولد محـمد على ، كما أقاموا له تمثالاً فى الساحة الواقعة أمام تلك الدار .. كان أهل القرية يعيشون على إحـدى حرف أربع هـى : الصيـد والتـجارة والزراعـة والرعى ، وبسبب موقع مدينة " قولة " بعيداً عن مـركز السلطة فقد كثرت بها عمليات السرقة وقطع الطريق ، كما تعرضت لقيام العديد من الثورات والانتفـاضات ضد الولاة بسـبب الظلم والضرائب البـاهظة ، وكانت الثورة الفرنسيـة قد اندلعت وامتد لهيبـها إلى كل أنحاء أوربا وصار الجميع يحلمون بتطبيق مبـادئ تلك الثورة من حرية وإخاء ومساواة رغم أنها لم تحقق فى فرنسا إلا بعد سنوات طويلة من قيام الثورة .

وكان يـقوم بأعـمال الحـراسة وتأمين الطرق فى هذه المنطقـة من جنوب اليونان رجل يدعى " إبراهيم أغا " الذى كان رئيساً للحرس ، وقد رزق الشيخ " إبراهيم أغا " بسبـعة عشر ولداً لم يعش منهم إلا أصغرهم الذى أطلق عليه اسماً مركباً هو " محمد على " .

ويروى أن أم " محـمد على " ذهبت خـلال شهور حـملها به إلى عرافة يونانيـة شهيرة فى قولة فتنبـأت لها بأن يكون طفلها المنتظر

حاكمـاً عظيماً وأنه سوف يبلغ ذروة المجـد والقوة ، ويقال إن الأم كانت تردد هذه النـبوءة على أسمـاع طفلها الذى نشـأ ذكياً طمـوحاً يسعى دائماً إلى المعرفة وإلى اكتساب المزيد من الخبرات المفيدة ، وأن هذه النبوءة تحولت بداخله إلى هدف لابد من تحقيقه .

العزيمة الجبارة :

في البداية كان طفـلاً مدللاً عاش فى رغد وهناء مـمـا جعله هدفاً لسـخرية أقـرانه من الأطفال ، ولكن الأمـور انقلبت رأساً على عـقب عندمـا توفى الوالد " إبراهيم أغا " و " مـحمـد على " مازال طـفلاً صغيـراً فكفله عمه " طوسـون " وأدرك الفـتى مدى المصاعب التى سوف يواجـهها إذا ما ترك نفـسه هكذا ، فـعمـد إلى تقوية جـسده وتدريب إرادته على التحمل الشاق ، فراح يصـوم أياماً كثيرة ويؤدى التدريبات العملية الشاقة ويظل مسـتيقظاً أياماً ، حتى تمكن بعد فترة أن يصبح أكـثر من ند لزمـلائه وأن يتغلب عليـهم فى المنازلات التى كانت تدور فيما بينهم .

ومن الحكايات الهامة التى تدور حـول " محمد على " وتدل دلالة قاطعة على ماكان يتمتـع به من عزيمة خارقة وإرادة جبارة لا تعرف المستـحيل أنه دعا زمـلاءه إلى التحـدى فى مجال التـجديف ، ووقع اختيارهم على إحدى الجزر الصغـيرة الواقعة بالقرب من الشاطىء ، وراح الجمـيع يجدفـون بقوة ، ولكنهم مـاكادوا يفعلون حـتى هبت عاصفة عاتية جعلتهم يتراجعون تباعاً خشية العواقب ، واحد فقط هو

الذى ظل ممسكاً بمجدافيه بقوة وعناد حتى وصل إلى الجزيرة بعد أن لقى المصاعب والأهوال ، ويقول : " محمد على " ، عن هذه الواقعة التى جعلته زعيماً لرفاقه :

(ولما أدركت الجزيرة وجدت جلدى قد تسلخ ولكننى كنت مصمماً على تحقيق أمنيتى مهما اشتدت المحن ، وبهذه الطريقة مضيت فى تنمية قواى البدنية والعضلية) .

ومن المعروف أن " محمد على " كان من خيرة الفرسان الموهوبين الذين يحسنون قيادة الخيول والتعامل معهم ، وفى هذه الفترة من حياته كانت أحلام الزعامة والسلطان تداعب خياله الذى كان يتجه تلقائياً صوب مدينة الأستانة مركز السلطان ويحلم بدخولها سلطاناً متوجاً ، وربما يفسر لنا ذلك لماذا تقدم "محمد على " تجاه " الأستانة " ، عندما حكم مصر والشام وحقق انتصاراته الخالدة ، فقد كان كل ذلك خطوة فى سبيل تحقيق حلمه الأكبر الذى لم يتحقق .

واصل "محمد على " تدريباته الشاقة على مختلف أنواع الأسلحة قديمها وحديثها ، وقد اتيحت له الفرصة لخوض غمار التجارب العملية الصعبة عندما تولى عمه " طوسون" ، مسئولية الأمن فى البلاد خلفاً لوالده "إبراهيم أغا" حيث كثرت الثورات والاضطرابات بالإضافة إلى ذلك فقد كثرت عمليات القرصنة فى بحر إيجه ، وعندما صدرت الأوامر إلى "طوسون" بتعقب القراصنة والقضاء عليهم قام بتجهيز حملة من أفضل جنوده ، ووضع على رأسهم ابن

أخيه الشجاع " محمد على " الذى اشتهر بالجراءة والفروسية والقدرة على القيادة ، وقد وافق حاكم قولة على هذا الاختيار ومنح "محمد على "، رتبة ملازم تحت الاختبار ، وأصبح بذلك ظابطاً فى جيش السلطان وهو حلم بعيد المنال للطبقات المتوسطة والدنيا من الشعب .

من نجاح إلى نجاح :

وكانت تلك هى أولى مهام "محمد على " وكان عليه أن يبذل أقصى جهده مستعيناً بما طبع عليه من شجاعة ودهاء ، وكان الحظ إلى جانبه عندما نجح فى الاهتداء إلى مقر القراصنة والقبض عليهم والاستيلاء على سفنهم وعن ذلك يقول " محمد على " :

(أما أنا فلم يكن فى وسعى أن أشتهى خيراً من ذلك ، فما كان الأمر يصدر إلى حتى خرجت حالاً للبحث عن القراصنة ، فهدانى الحظ إلى مقرهم ، وبعد ما تعقبتهم مدة غير طويلة وفقت إلى اعتقالهم بسفنهم وهم أحياء فكوفئت على ذلك .. والتحقت ظابطاً فى الأسطول العثمانى برتبة ملازم أول ، وكنت يومئذ فى العشرين من عمرى ، غير أن ترقيتى السريعة أثارت حسد الكثيرين) .

وقد تزوج " محمد على " من ابنة حاكم قولة (أو ابنة أحد أصدقائه المقربين فى رواية أخرى) ، وأنجب منها ابنه الأكبر " إبراهيم" فى سنة ١٧٨٩ ثم "طوسون" فى سنة ١٧٩١ ثم "إسماعيل" وغيرهم كثرين .

وإزاء ضـالة مرتبـة كظابط فى الجـيش ، وكـعادة الكـثيـرين من مـوظفى الدولة اضطر "مـحمـد على " إلى القـيام ببـعض الأعمـال التجارية وخاصة تجارة الدخان التى حقق منها بعض المكاسب .

وعقب نـجـاحه فى القـضاء على التـمرد فى بعض المناطق ألحـقه الحاكم بوظيفة مساعـد لقـائد حرس قصره ومنـحه رتبـة يوزباشى (نقيب) ، وبعـد وفاة قائد الحـرس حلّ " محمـد على " محله وتمت ترقيـته إلى رتبـة صاغ (رائد) ثم تطورت الأحـداث بسرعـة لتهئ الفرصة لمحمـد على كى يحقق حلمه بعيداً بعيـداً عن وطنه وبالتحديد على أرض مصر .

الحملة الفرنسية على مصر :

كانت مصر تعتبر من أهم الأقاليم الخـاضعة للدولة العثمانية نظراً لموقـعها الفـريد ولمكانتـها السـامية بين دول الـعالم وخاصـة الدول العـربية والإسلامـية ، وفى سنـة ١٧٩٨ قام الفـرنسيون بـإرسال حملتهم الشـهيرة على مصر بقيـادة "نابليون بونابرت" مـما هدد بضرب المصالح العـثمانية فى الشرق ، فأمر السلطـان العثمانى كل منطقة خاضعة لسلطانه بتقـديم عدد من خيرة جنودها لتكوين جيش يتم إرساله إلى مصر لطرد الفرنسيين منها .

وكان على منطقة قـولة أن تقدم فصيلة من ٣٠٠ جندى مـجهزين بالإسلحة والعتاد ، وكان على رأس هذه القوة " على أغا " ابن حاكم قولة وكان "محـمد على " نائباً ومستشـاراً له ، ومن إحدى القواعد

البحرية العثمانية فى بحر إيجه تحركت سفن الأسطول العثمانى حاملة الجنود والعتاد إلى مصر .

فى هذه الفترة كان الفساد والضعف والانحلال قد بدأ يستشرى فى جسد الامبراطورية العثمانية التى أطلق عليها (رجل أوربا المريض) . وكانت هناك العديد من القوى التى تعمل على القضاء عليها وتدميرها تماماً وكان غزو نابليون لمصر هو انعكاس لما أدركه من ضعف العثمانيين الذين فقدو العديد من أملاكهم فى وسط أسيا وفى أوربا ، وتمكن نابليون من دخول القاهرة بعد هزيمة الأمراء المماليك ، فأشاع الذعر والرعب بين المصريين حيث قتل منهم الكثيرين ، ثم رحل إلى فرنسا لسوء الأحوال هناك وترك قيادة الحملة للقائد " كليبر" .

فى هذه الأثناء كان العثمانيون هم أصحاب السلطة الرسمية على مصر ، أما أصحاب السلطة الفعلية فكانوا هم المماليك ، فبعد أن نجح العثمانيون فى هزيمة المماليك وقتل قائدهم " طومان باى" سنة ١٥١٧ ظل المماليك فى موقع القيادة بعد أن تعدلت أسماؤهم وألقابهم من السلطان إلى شيخ البلد ، وعرفت طبقة " المماليك البكوات" ، الذين كانوا أصحاب القيادة والسلطة الفعلية فى البلاد وعانى المصريون الكثير من ظلمهم ، وكانوا شديدى التنازع فيما بينهم كعهدهم دائماً بالإضافة إلى ولعهم الدائم بتدبير المؤامرات والتحريض على الفتن وتأليب الشعب على حكامه من العثمانيين .

ومن أهم المحاولات الجريئة من المماليك للانفراد بحكم مصر محاولة "على بك الكبير" ، الذى كان شيخاً للبلد ، واستغل تورط الدولة العثمانية فى حروبها مع روسيا وقام بطرد الوالى العثمانى وأعلن استقلال مصر عن الدولة العثمانية ثم توجه إلى الشام وأعلن ضمها إلى دولته كما أعلن سيادته على الجزيرة العربية ولكنه قتل غيلة ، وعادت مصر للسيادة العثمانية مرة أخرى .

وخلال الفترة بين عامى ١٥١٧ -١٨١١ ، كانت الاضطرابات والحروب لا تتوقف بين العثمانيين والمماليك وكان الشعب المصرى هو الضحية فى هذا الصراع ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان الصراع بين الأمراء المماليك أنفسهم رهيباً قتل فيه الكثيرون وكان الأمر يشبه الحرب الأهلية إلى حد بعيد .وفى الفترة السابقة على الحملة الفرنسية تعرضت مصر للعديد من القلاقل والاضطرابات الشديدة ووقعت العديد من الحروب الأهلية والحرائق وعاشت البلاد فترات عصيبة فانتشرت المجاعات وعمّ الكساد والخراب والدمار خلال سنوات طويلة ، وفى سنة ١٧٨٥ انتشر الطاعون وجف النيل ووصلت البلاد إلى حالة سيئة للغاية وكان الشعب المصرى قد ضاق ذرعاً بكل من المماليك والعثمانيين وراح يتطلع إلى سبيل الخلاص .

وعندما وصل نابليون إلى مصر كان مقتنعاً بأن المماليك هم أصحاب السلطة الفعلية فى مصر فأخذ يستميلهم إليه .

وعندما وصلت القوات العثمانية إلى مصر قرر " على أغا "

التنازل عن القيادة لنائبة "محمد على "، الذى خاض عدة معارك ضارية ضد الفرنسيين أبلى فيها البلاء الحسن ، وبصفة خاصة فى معركة الرحمانية ، وقد اضطر الفرنسيون للرحيل عن مصر عقب تدمير الأسطول الفرنسى فىأبو قير بواسطة الاسطول البريطانى .

محمد على وحكم مصر :

كان انسحاب الفرنسيين من مصر فاتحة خير لمحمد على ، فقد اشتهر بين العثمانيين كما عرفه عامة الشعب من المصريين كقائد شجاع يتمتع بقدرة قتالية عالية ، وبعد جلاء الفرنسيين توجه قائد الأسطول العثمانى إلى " خسرو باشا " والى مصر فى ذلك الوقت حيث قدم إليه " محمد على " وأثنى على شجاعته وبلائه الحسن فى المعارك التى خاضها ضد الفرنسيين ، فقبله خسرو ضمن قوات الفرقة الألبانية المكلفة بحماية مصر وأعلن ترقيته إلى رتبة قائمقام (عقيد) .

ويواصل "محمد على " صعوده السريع ويحصل على رتبة (اللواء) وهو يناهز الحادية والثلاثين من عمره .

فى عام ١٨٠٢ تحالف والى مصر " حسين قبطان باشا" مع " قبطان باشا" قائد الأسطول العثمانى ضد المماليك وكان هذا التحالف يهدف إلى القضاء على المماليك واستئصال شأفتهم تماماً من مصر ، ولكن بمجرد نزول جيش الأسطول العثمانى إلى الإسكندرية شعر المماليك بما يحاك ضدهم ونجح عدد كبير منهم

فى الفرار ووقـعت بعد ذلك عدة مـذابح مروعة للمـمـاليك ، وكان " محـمد باشـا " ، الذى تولى حكم مصـر مثالاً للعنف والدمـوية ولكن العنف لم يتوقف ، فقـد كان أمراء المـماليك يعتصمـون بالوجه القبلى ويشنون الهـجـمـات ضـد العـثـمـانيين بلا انقـطاع ، وعمّت الفتن والاضطرابات أنحاء البلاد .

وكـان " محـمد على " يراقب كـل ما يحـدث فى ذلك الوقت وهو يعيد حـساباته ألف مرة وينتظر اللحظة المنـاسبة ليبدأ الـعمل ، وقد اتخذ موقف الحياد المطلق تجاه الجـميع ولم يبد أى رد فعل حتى ذلك الوقت ، ولكنه حرص دائمـاً على أن يواسـى الضـعيف ويبـدى للشـعب حبه وتعاطفه فى محنته القاسية ،ويوطد صداقته بكل الأطراف فأحبه الجميع بما فيهم المـماليك أنفسـهم !

دلت تصرفات "مـحمد على " فى تلك الفترة الحسـاسة على عمق نظرته للأمور وحدة ذكائه ودهائه الشديد ، كان يتواضع للعلماء وهو يعلم مكانتـهم الرفيـعة فى قلوب الشـعب ومدى تأثيـرهم على الرأى العام ، كما كان يتأدب مع وجوه الناس ويعاونهم .

وبدأت خطوت "محمد على" ، الفعلية لتـحقيق أحلامه عندما اندلع القتـال الضـارى بين المـمـاليك فصـعد محـمد على إلى القـعلة ووجه مدافـعهـا نحوهم ودك مـواقعـهم ، وفى سنة ١٨٠٤ تولى "أحـمد باشـا" ولاية مـصـر ولـكن الأمـور ازدادت سـوءًا وأحـاط الأمـراء المـماليك بالـقاهرة وخربوا أحـياءها ، فخـرج إليهم " محـمد على "

فحاصرهم وهم غافلون وأوقع فيهم القتل حتى هزمهم ، ولكن الاضطرابات استمرت فى العديد من الجهات .

صدر فرمان بتوليه " محمد على " على جدة فأظهر رضاه ، ولكن الجنود الأتراك والشعب المصرى أعلنوا عدم رضاهم عن هذا الفرمان وطالبوا ببقاء "محمد على " فى مصر حيث كان هو أملهم ورجائهم فى الخلاص من هذه الفتن والاضطرابات التى لا تتوقف .

فكتبوا إلى الدولة يطلبون توليه " محمد على " حكم مصر فصدر الأمر العالى بتولية " محمد على" حكم مصر فى مايو سنة ١٨٠٥ الموافق شهر صفر عام ١٢٢٠ هجرية ، وهكذا احقق للشعب أمنية عزيزة المنال ووضع محمد على أقدامه على أول طريق المجد .

عبقرية القائد:

أثبت " محمد على " أنه أصلح وأفضل من يتولى حكم مصر فى ذلك الوقت الذى عمت فيه الفوضى وسادت الاضطرابات ، وقد اتخذ العديد من الخطوات التى تدل على عبقريته وبعد نظره كقائد ينشد الانطلاق بشعبه إلى آفاق جديدة ويضع بلاده فى مصاف الدول الكبرى ، بدأ عهده بالتصدى للاضطرابات الشديدة التى عصفت بالبلاد ومنذ زمن بعيد واستمال إليه قلوب المشايخ الكبار مثل عمر مكرم والشرقاوى والدواخلى كما كان يأخذ رأيهم ويستشيرهم فى كل الأمور الهامة .

اتخذ العداء بين المماليك و " محمد على " ، صورة سافرة ، وفى سنة ١٨٠٦ قام المماليك بتوحيد صفوفهم تحت قيادة " شاهين بك الألفى " ، وانطلقوا من الصعيد لمهاجمة "محمد على "، واستطاعوا أن يلحقوا بقواته الهزيمة فى امبابة ثم انطلقوا إلى الوجه البحرى يدمرون ويخربون ، واستمرت الإضطرابات فترة من الزمن واستطاعت قوات "محمد على " أن توقف المماليك حيناً وتفشل فى بعض الأحيان وكان لابد من حل جذرى يكفل لمصر الاستقرار .

بالإضافة إلى ذلك كان " محمد على " يرى أن مصر تمتلك المؤهلات الكافية لتصبح دولة عظمى من نهر عظيم يروى ملايين الأفدنة وزراعة مزدهرة وموقع رائع يتوسط العالم وشعب متحضر يتمتع بالذكاء والقدرة على الإنجاز ، وطقس بديع طوال العام ، وموارد بلا حدود تكفل قيام نهضة عمرانية وصناعية شاملة ، وكان " محمد على " يحرص دائماً على أن يعرف أخبار الدول المتقدمة وصور الحياة بها ويحلم بأن يوفر لمصر ولشعبها هذه الحياة الكريمة ، وأدرك بعمق نظرته أن العقبة الرئيسية التى تحول بين شعب مصر وبين تحقيق هذه الأحلام هى المماليك الذين يعملون على عرقلة كل محاولة للتقدم ولإصلاح ، واتخذ قراره الحاسم وهو ضرورة التخلص من المماليك .

مذبحة القلعة :

وكان الحظ فى صف" محمد على "، فقد توفى خصمه اللدود

"عثمان بك البرديس"، في أواخر عام ١٨٠٦ ، وفي يناير من عام ١٨٠٧ توفى " الألفى بك " ، وقد تمكنت قوات " محمد على "، من هزيمة القوات الإنجليزية التى حاولت احتلال مدينة رشيد فى مارس عام ١٨٠٧ ، وتحولت الأمور بعد ذلك تحولاً كبيراً حيث نجح "محمد على " ، فى عقد الصلح مع الإنجليز وبمقتضى هذا الصلح تم الإفراج عن الأسرى الإنجليز ، واتفق الطرفان على أن يقوم "محمد على " برعاية المصالح الإنجليزية بمصر ، وبذلك وجه ضربة شديدة للمماليك الذين كانوا هم الأصدقاء التقليدين للإنجليز .

وبعد الاتفاقية استطاع "محمد على "، الحصول على مكاسب تجارية كبيرة ملأت خزائن الدولة بالأموال واستطاع أن يدفع مرتبات الجند المتأخرة ، وبدأت أحواله فى التحسن وعاد يفكر فى أمر المماليك الذين أصبحوا يعملون فى الخفاء ويحيكون المؤمرات للتخلص منه والاستيلاء على حكم مصر .

وضع " محمد على " ، خطة محكمة للتخلص من المماليك حيث بدأ يستعين بزعماء المماليك ويظهر لهم المودة والتقدير ، وبعد جهود كبيرة تمكن من استقدام " شاهين بك " ، زعيمهم ومنحه قصراً فى القاهرة ليقيم به وخصص له إيراد إقليم الفيوم وثلاثين قرية من إقليم المنيا ، وقدم إليه العديد من الامتيازات .

وبهذا الأسلوب الذى اتبعه " محمد على " ، مع عدد كبير من

زعماء المماليك استطاع أن يهدئ من ثوراتهم وأن يستعين بهم فى تنفيذ خطة لتنمية البلاد ، وكان يعلم جيداً أن هذه الهدنة مؤقته وأنهم ينتظرون الفرصة الناسبة للانقضاض عليه والاستيلاء على الحكم .

ولكن الأمور لم تستقر طويلاً حيث دارت بين الجانبين عدة معارك وكانت نتائجها لصالح "محمد على "، الذى استطاع بعد جهد كبير أن يخضع الصعيد معقل المماليك لحكمه وطلب من زعمائهم القدوم إلى القاهرة والإقامة بها ، وبعد جهد كبير تمكن من إقناع عدد كبير منهم بالحضور حيث أغدق عليهم محمد على ، من خزائن الدولة .

وقد ظل " محمد على " يتحين الفرصة ويراقب أعداءه المماليك بحذر شديد وقرر أن يعجل بضربته حينما علم بأن المماليك يدبرون مؤامرة ضده مع سليمان باشا والى سوريا وذلك فى فبراير من عام ١٨١١ ، فأبقى الأمر فى طى الكتمان .

فى هذه الأثناء صدرت الأوامر لمحمد على من الباب العالى فى الاستانة بأن يرسل حملة لتأديب الوهابيين فى الجزيرة العربية ، فقام " محمد على "، بإعداد هذه الحملة خير إعداد وجعل ابنه " أحمد طوسون" قائداً عليها ، وقرر أن يقيم احتفالاً ضخماً فى القلعة بهذه المناسبة فى الأول من مارس وكان موافقاً ليوم الجمعة .. ودعا إليه كبار رجال الدولة والموظفين والأعيان كما دعا جميع الأمراء والبكوات من المماليك ، وكان عدد المدعوين يزيد عن عشرة آلاف شخص .

وعندما سار الموكب المهيب متجهاً صوب أبواب القلعة بدأ الجميع فى التحرك ومنهم المماليك ، وعند أحد الأبواب صدرت الإشارة للجنود فأقفل الباب فى وجه المماليك وكان خلفهم فرقة من الجنود المتأهبين ، وما هى إلا دقاق حتى انطلقت بنادق الجنود تحصد المماليك من كل اتجاه وهم محصورون بين الباب المغلق والجنود الذين أطلقوا بنادقهم ، كما انهالت الطلقات من أعلى .

وهكذا تمكن " محمد على " ، من القضاء على المماليك قضاءً تاماً .

النهضة الكبرى :

إن الحديث عن إنجازات "محمد على "، هو حديث طويل وممتع وسنكتفى هنا بذكر أهم إنجاراته التى وضعت مصر فى مصاف الدول الكبرى ، ولولا تكاتف الدول الأوربية ضد مصر لكان لها شأن أخر .

فعلى الصعيد الخارجى حققت القوات المصرية أروع الانتصارات على الوهابيين بالجزيرة العربية منذ عام ١٨١١ ، حتى عام ١٨١٩ كما قامت بفتح السودان ، وعندما استعان السلطان العثمانى " محمود الثانى " به لإخماد ثورة اليونانيين نجح فى تنفيذ المطلوب وحققت القوات المصرية انتصارات باهرة فى الفترة من عام ١٨٢٤ حتى ١٨٢٦ ، ولكن اتفاق الدول الغربية (روسيا وفرنسا وانجلتر) معاً ضده حرم محمد على من جنى ثمار انتصاراته الكبرى .

وكما كـان متوقعاً فـقد ساءت العلاقات بين " مـحمد على " وبين السلطان العثـمانى ، وراح " محمد على " يقـاتل الجيوش العثـمانية واستطـاع أن يحقق المزيد من الانتـصارات الكبـرى بواسطة جيـشه القوى المدرب تدريبـاً حسناً بواسطة عدد من الخبـراء الغربيين وعلى رأسهم الكولونيل الفـرنسى "سيف" الذى أسلم وأطلق عليه اسم " سليمان باشا الفرنساوى " ، وكـان قائد جيوش " محمد على " هو ابنه " ابراهيم باشا" ، وقد حققت الجـيوش المصرية انتصاراً باهراً على قوات السلطان العـثمانى فى سنة ١٨٣٩ ، فى معـركة (نزيب) أو (نصيبين) ، وهدد بذلك العاصمة الاستانة ذاتها ، مـما دعا الدول الأوربيـة إلى الوقوف فى وجـهه لوقف فـتوحـاته ، وتم السمـاح له بحكم مصر والسودان فقط .

أمـا على الصـعيـد الداخلى فقـد أقـام " محـمـد على " ، نهضـة حـضارية رائعـة ، فقـد أنشأ عـدداً كـبيـراً من المدارس المختلفـة من ابتـدائية وثانوية وعليـا وصناعـية وغـيرها ، كـما أرسل العـديد من البعـثات إلى الدول الأوربية لتـكون طليعة للتـقدم والحضـارة بمصر ومن أهم أعـضـاء هذه البـعـثـات " على مـبـارك " و " ورفـاعـة الطهطاوى " ، كما قـام بشق الطرق والترع والمصارف وقام بتشـييد القناطر الخيرية وأصدر أول جريدة رسمية لمصر بالعربية والفرنسية هى " الوقائع المصرية " ، التى مازالت تصدر حتى اليوم .

توفى مـحمـد على فى ٢ أغـسطس عـام ١٨٤٩ ، ودفن بمسـجـده بالقلعة ..

★ ★ ★

بيتهوڤن

أعظم الموسيقيين :

من الأقوال التى تناقلها العالم أن الموسيقار الألمانى العظيم " لودفيج فان بيتهوڤن " ، هو أعظم موسيقى عرفه العالم سواء من السابقين أو اللاحقين !! ويالها من مكانة خالدة ، استطاع أن يذهل مستمعيه بروعة عزفه على البيانو وهو مايزال طفلاً صغيراً وبلغ فى روعة عزفه وجمال الحانه حد الكمال الذى لم يبلغه موسيقار قط ، ترك إثراً عميقاً فى كل الموسيقيين من بعده ، ويكفى أنه كان من أهم أسباب انتقال الموسيقى من مرحلة الكلاسيكية إلى مرحلة الرومانسية ، جعل للبيانو مكانة مميزة بين الآلات الموسيقية .

مهد بعبقريته الفذة الطريق أمام ظهور عدد كبير من أعظم الموسيقين فى العالم مثل فاجنر وشوبرت وبرامز وتشايكوفسكى وغيرهم من أعلام الموسيقى الخالدين .

حقق نجاحاً رائعاً وهو شاب صغير دون العشرين من عمره وطغت شعرته على أساتذته من كبار الموسيقيين ولكن العجيب فى أمر "بيتهوڤن " أنه قام بتأليف أعظم ألحانه وهى السيمفونية

التاسعة بعد أن أصيب بالصمم التام !! ويالها من مفارقة !! أعظم موسيقار في التاريخ يؤلف موسيقاه الخالدة دون أن تتاح له فرصة سماعها !!

ويعتبر " بيتهوفن " ، شخصاً غريب الأطوار شديد العصبية حاد المزاج سريع التأثير ، كما عُرف بسوء معاملته للناس وخشونته ، وبالإضافة إلى ذلك عُرف بالفوضى وغياب النظام فى حياته تماماً وكان يلقى بأشيائه فى حجرته بدون ترتيب ، ويرفض أن يقوم أحد بتنسيق غرفته التى هى محرابه المقدس .

ومن أجل إبداع هذه الألحان الخالدة كان ينسى نفسه ويترك طعامه بالأيام دون أن يمسه ، وعندما يشعر بالجوع الشديد يكتفى بالتهام قطع من الخبز الجاف .

وقد ازدادت عصبيته وخشونته كثيراً بعد أن فقد سمعه تماماً وكان يتجنب الحياة الاجتماعية ، عاش فى قلعة حصينة معزولة عن الناس عدة سنوات عانى فيها أشد المعاناة وكثرت آلامه وأمراضه حتى مات تعيساً معذباً .

عندما سأله يوماً أحد النقاد الفنيين عن أعماله الفنية الصعبة على فهم العامة قال له بيتهوفن :

(إن هذه الموسيقى ليست من أجلك ، إنما لأجيال من بعدك) .

تلميذ هايدن :

في أسرة فقيرة وفي أحد البيوت الريفية البسيطة بمدينة "بون" الألمانية ولد " لودفيج فان بيتهوفن " ، في السادس عشر من ديسمبر عام ١٧٧٠ وأنجبت أمه " ماريا ماجدالينا" سبعة أبناء لم يعش منهم سوى ثلاثة وكان " بيتهوفن " هو ثاني الأبناء الثلاثة .

كان أبوه يحترف الغناء الديني والعزف في الكنائس الصغيرة ، وكان هذا الرجل هو علة شقاء الأسرة التعيسة وبصفة خاصة ابنه " بيتهوفن" المرهف الحساسية ، فقد أدمن الوالد الخمر وراح يقضي معظم وقته في الحانات الرخيصة ويعود في منتصف الليل إلى المنزل ليحطم كل ما أمامه بلا رحمة وسط خوف أطفاله التعساء .

ولكن هذا الوالد السكير العربيد كان له دور إيجابي في حياة طفله الحساس " بيتهوفن " ، يعادل دوره السلبي فقد راح الوالد يلقن ابنه دروساً في العزف على البيانو ، لم يفعل الوالد ذلك من أجل الارتقاء بمواهب ابنه الصغير ، بل لكي يساعده في عمله وفي الحصول على قوت يومه ، ورب ضارة نافعة فقد كان الطفل مؤهلاً بطبيعته ليكون موسيقاراً فذاً ، ولم يكن ينقصه سوى وضع قدمه على بداية الطريق ، وهاهو والده قد تكفل بالخطوة الأولى وبدأت رحلة " بيتهوفن " في عالم الموسيقى والإبداع .

كان " بيتهوفن" في الخامسة من عمره عندما بدأ والده يلقنه بقسوة شديدة أول دروس العزف على البيانو ، كان الوالد يستخدم

العصا والسوط فى تلقين الطفل المسكين دروسه ، ومن حسن الحظ أن الطفل لم يكره البيانو كما هو متوقع من طفل يتم إرغامه على تعلم شيء قسراً ، ولعل ذلك يرجع كما قدمنا إلى الموهبة المتأصلة فى روح الطفل ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت الموسيقى وسيلة رائعة يقدم من خلالها "بيتهوڤن" ، لتفريغ شحنات انفعالاته الجبارة خلالها .

التحق " بيتهوڤن" بالمدرسة وهناك درس قواعد الموسيقى والهارمونى كما درس العزف على أساتذه آخرين ، وظل يتقدم بسرعة هائلة حتى فاق فى براعته عزف والده نفسه وهو لم يكد يبلغ التاسعة من عمره ، وفى هذه المرحلة كانت براعة بيتهوڤن الفائقة فى العزف على البيانو حديث أهل مدينة بون ، وتوقع الجميع لهذا الطفل الهادئ الصامت دائماً مستقبلاً رائعاً .

لم يتوقف " بيتهوڤن " ، عند هذا الحد ولم يكتف بما بلغه من براعة فائقة فى العزف على البيانو بل إنه بدأ يؤلف ألحاناً جديدة وأنغاماً رائعة ، وهذه إحدى سمات العبقرية الأصيلة حيث تظهر مواهب صاحبها فى سن مبكراً جداً .

كانت شهرته الفائقة وبراعته المنقطعة النظير هى السبب فى إلحاقه بالعمل فى بلاط مدينة بون كموسيقى متميز ، ومن هناك تم تحقيق رغبة "بيتهوڤن " فى الرحيل إلى عاصمة الموسيقى والفن فى أوربا وهى مدينة "ڤيينا" ، كان " بيتهوڤن" ، يحلم بلقاء الموسيقار العظيم

" موتسارت" والموسيقار الخالد " هايدن" ، ويستكمل على أيديهما دراسته الموسيقية .

ومن أهم المؤثرات التى تركت فى نفس " بيتهوفن" ، صدى عميقاً وفاة والدته بعد صراع طويل مع المرض ، وقد حزن لذلك حزناً شديداً وازداد صمتاً واكتئاباً .

ويأذن الموسيقار الحساسة أدرك الموسيقار المبدع " موتسارت" أنه أمام عملاق فى الموسيقى وإن كان ما يزال صغيراً جداً وقال عنه :

(انتبهوا لهذا الشاب .. فسيفرض نفسه على العالم ، ويحمل الناس على التحدث عنه عما قريب) .

وبالفعل صار " بيتهوفن " ، حديث الدنيا كلها ، فقد أبدى براعة فائقة فى العزف على البيانو والكمان أيضاً ، وتم اختياره ضمن الفرقة الموسيقية لامبراطور النمسا .

أما الموسيقار " هايدن " ، فقد أبدى إعجابه الشديد بتلميذه الألمانى " بيتهوفن" ، وبعد فترة ظن " بيتهوفن أن " هايدن" ، يهمله فقاطعه ، ورغم ذلك فقد قال " هايدن "، فيما بعد عن تلميذه الخالد بيتهوفن :

(بين مئات السيمفونيات التى كتبت ، بما فى ذلك التى وضعتها أنا ، لم أجد سيمفونية واحدة تستطيع أن تقف منافساً لأعمال لودفيج فان بيتهوفن وسيمفونياته التسع) .

أعمال خالدة :

يقسم المؤرخون الحياة الفنية للموسيقار " بيتهوفن " ، إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : برع فيها كعازف متميز على البيانو ، وقد قام بوضع " السوناتا" وكان ما يزال موسيقاراً صغيراً لم يحظ بالشهرة الهائلة التى واتته بعد ذلك .

وفى عام ١٨٠٠ وضع أولى سيمفونياته وبدأ المنتجون يعرفونه .

المرحلة الثانى : كانت بين عامى ١٨٠٢ ، ١٨١٤ وفى هذه المرحلة أصبح اسم " بيتهوفن " ، معروفاً فى كل أنحاء أوربا وطبقت شهرته الآفاق ، وجرى المال وفيراً بين يديه حيث أقام عشرات الحفلات الموسيقية المفتوحة كما كان يبيع مقطوعاته الموسيقية الرائعة بمبالغ كبيرة ، وخلال هذه الفترة وضع " بيتهوفن"، أعظم أعماله مثل السيمفونيات الثمانية والعديد من الافتتاحيات بالإضافة إلى أوبرا " فيدليو" ، وأصبح الجميع يتهافتون على أعماله .

والمرحلة الثانية هى أخصب وأهم المراحل فى حياة " بيتهوفن".

المرحلة الثالثة : وتعد مرحلة المعاناة الرهيبة والعذاب ، فقد توقف لسنوات طويلة عن تأليف السيمفونيات ثم كتب سيمفونيته التاسعة التى تعد أعظم أعماله على الإطلاق ولكنه لم يسمعها حيث كان قد فقد السمع بالكامل .

وتضم أعمال " بيتهوفن" ، تسع سميفونيات ، ٣٢ سوناتا للبيانو ، ١٠ سوناتا للتشيلو والبيانو ، ١٠ سوناتا للكمان ، ٥ سوناتا للتشيلو ، ١٤ رباعى ، ١٥ كونشرتو للبيانو ، كونشرتو للكمان .

قمة المعاناة :

ذكرنا أن" بيتهوفن " ، تعرض لألوان من المعاناة والآلام النفسية والجسدية ، ولعل هذا قدر كل فنان حساس فكلما ازدادت الحساسية كلما ازدادت المعاناة ، وكانت العلاقات العاطفية لبيتهوفن تنتهى دائماً نهايات مأساوية ، أما مأساته الكبرى فهى معاناته مع الصمم حيث بدأت حاسة السمع تقل لديه تدريجياً وهو فى نهاية الحلقة الثالثة من عمره ، وفى أواخر الحلقة الخامسة من عمره كان قد فقد السمع إلى الأبد،فانسحب من الحياة الاجتماعية واعتزل الناس تماماً .

وفى أواخر أيامه أصيب بالعديد من الأمراض وظل راقداً فى فراشه عدة أشهر حتى توفى فى السادس والعشرين من مارس عام ١٨٢٧ .



راسبوتين

القوة الطاغية :

من أعجب الشخصيات التى حيرت العالم وأثارت دهشته شخصية الراهب الروسى العجيب "جريجورى راسبوتين " ذلك الفلاح السيبيرى البسيط الجاهل الذى تمكن بدهائه وبنظراته الساحرة من الدخول إلى قصر قيصر روسيا ليصبح هو سيده الفعلى والمتصرف فى أمور هذه الامبراطورية العريقة !!

اتبع "راسبوتين" ، منهجاً عجيباً للغاية للتخلص من الخطيئة وذلك عن طريق إغراق الجسد فى الملذات والشهوات بلا حدود حتى يمل الإنسان من الخطيئة فيتطهر جسده وتسمو روحه ، وقد تمكن هذا الشيطان المقدس (كما كان يطلق عليه) ، من تلويث أعراض عشرات الفتيات والسيدات فى روسيا بزعم تطهيرهن من الخطايا ، والعجيب أنه كان معبود النساء رغم كل مباذله ..

كان يتمتع بقوة بدنية هائلة مكنته من تحمل آلام مروعة بعد أن دس له أعداؤه السم كما سنرى بعد قليل ، وكانت تلك القوة البدنية والشخصية المؤثرة والمتسلطة والذكاء الشيطانى هى العوامل التى

مكنتــه من الوصــول إلــى هذه الدرجــة الرفــيــعــة داخــل البــلاط الامبراطورى .

أما عـملية اغـتيـاله فهى من أكـثر الحكايات إثـارة وتشويقـاً وقد استغـرق الرجل زمنا طويلاً قبل أن تفارق جـسده الحياة واسـتخدم أعداؤه عدة وســائل تكفى لقتل عشرة رجال أشـداء ، ورغم ذلك فقد كانت هناك مفاجأة قاسية فى انتظارهـم بعد ذلك .

سارق الخيول :

ولد " جريجورى راسبوتين "، فى عام ١٨٧٢ ، فى سيبيريا كان والده مزارعاً بسيطاً ، وقد طبع الطفل منذ طفولته على الخبث والدهاء وعرف بالفجر والمجون ، اتهم فى شبــابه المبكر بسرقة الخيول حيث سجن فـترة ثم خرج لـيعيش حـياة التشـرد والضياع ، ولـكن عقله الشيطانــى هداه إلى حيلة بسيـطة يخدع بها الناس وهــى أن يصبح راهباً !!

قضــى فى أحد أديرة ســيبـريا المنعزلة حـوالى سنة خرج بعـدها راهباً يدعو الناس ويبشر بتعاليم الإنـجيل ، ولكن هذا الراهب الفاجر لم يتبع الـطريق الذى اتبعه غـيره من الرهبـان ، بل اعتنق مـا يعرف بالمذهب (الكالســتى) الذى يقوم على إغـراق الجسـد فى الشــهوات والملذات إلى الدرجـة التى يمل بعـدها الإنسان ويكـره الخطيئـة وهنا يتطهر جسده وتسمو روحه !!

كان " راسبوتين " دجالاً داعراً منحلاً كما هو واضح من المذهب الذى اعتنقه ، ولكنه حقق شهرة طاغية فى كل أنحاء روسيا ، بسبب ما كان يمتلكه من قدرات خاصة أحسن استغلالها جيداً للإيقاع بضحاياه وكان يتمتع بعينين تشعان بريقاً غامضاً يسلب الآخرين إرادتهم وكأنهم منومون مغناطيسياً ، كما كان يتمتع بجاذبية شديدة تؤثر على النساء خاصة .

ورغم جهله إلا أنه كان شديد الدهاء ، استطاع أن يستغل ما لديه من معلومات جمعها بطرق ملتوية فى أن يوهم ضحاياه بقدراته الخارقة على معرفة الأمور الغيبية وبإمكانية شفائهم من الأمراض المستعصية ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يتمتع بقوة بدنية هائلة .

وبعد أن حقق هذه الشهرة الطاغية أصبح الطريق ممهداً أمامه لكى يحقق حلمه بدخول البلاط القيصرى ليصبح أحد أهم القوى المؤثرة فى السياسة الروسية .

الراهب المقدس :

تميز " راسبوتين " بمظهره الأشعث وقذاراته البادية ولم يكن يهتم بهندامه ولا بنظافته ، له وجه شاحب وجبهة عريضة وشعر أسود مسترسل ولحية طويلة غير مهذبة ، أما أكثر ما كان يميزه فهو عيناه اللتان تشعان بريقاً عجيباً يكاد يسلب إرادة الآخرين ويشل قدرتهم ، وقد اشتهر " راسبوتين " ، فى أنحاء روسيا كراهب مقدس نجح فى شفاء عدد من أصحاب الأمراض المستعصية ،

وأشاع أتباعه أنه راهب مقدس وأنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ البلاد ، كل هذه الدعاية كانت جزءًا من الخطة البارعة التى وضعها الدجال للدخول إلى بلاط القيصر .

ورغم كل ذلك فقد كان بوسع أصحاب النظرات الثاقبة والعقول النابهة أن يدركوا لأول وهلة ملامح الإجرام المرتسمة على وجهه ، وسمات القسوة والغدر فى عينيه ، وقد كان معظم الذين يتعاملون معه واثقين من كذبه ولكنهم كانوا يفقدون إرادتهم أمامه ويؤمنين على كل ما يقول !!

وعن طريق خطة جهنمية تمكن " راسبوتين " من دخول القصر .. فقد علم أن القيصرة سوف تزور معبد العذراء فى قازان سراً وهى متنكرة حتى تبتهل إلى الله أن يرزق آل رومانوف بولد يرث العرش ، وعندما علم " راسبوتين" من جواسيسه أن القيصرة وصلت إلى بلدة قازان باسم مستعار ارتدى ملابس بالية وذهب إلى الكنيسة ووقف أمام الهيكل متظاهراً بأنه لا يرى القصيرة ورفع صوته بالدعاء للرب بإن يمنح آل رومانوف وريثاً للعرش ، وإنه يردد دعاء ملايين الروس المحبين لآل رومانوف .

وفى هذا الصمت الموحش والجو الملئ بالخشوع والرهبة ارتعدت القيصرة لدى سماع هذا الصوت الخشن العميق وتفاءلت خيراً بهذا الراهب الزاهد ، وتساءلت بينها وبين نفسها ترى من يكون هذا الرجل ؟

وفى هذه اللحظة اسـتـدار " راسبـوتين" بهـدوء وهو يرسم على صدره علامة الصليب ووجه إحدى نظراته المغناطيـسية إلى القيصرة ثم انصرف دون أن ينطق بكلمة واحدة ، ارتعـدت القيصرة أمام هذه النظرة العجيبة ، وصمـمت على أن ترى هذا الرجل مرة أخرى وهكذا نـجح " راسبوتين "، فى خطته نـجاحاً باهراً .

فى بلاط القيصر :

ظلت القـيصـرة تبحث عـن " راسبـوتين" ، فتـرة طويلة وهى لا تعرف مكانه حتى عثرت عليه أخيراً وعلى الفور أرسلت إليه تستدعيه ليـقابلهـا فى القصـر الامبـراطورى ، ولم تكن تعـرف أن هذا الرجل سيكون سبباً فى دمار آل رومانوف .

وكانت مـعجـزات راسبـوتين فى شفـاء المرضى قد سـبقـته إلى القصر واستكمالاً لفصول مـؤامراته الشيطانية توسل إليه أحد خدم القصـر بالقرب من باب غـرفة القـيصرة أن يشـفى ابنه المريض وأن يمنحـه بركاته ، وكـان هذا المشـهد مـؤثراً لدرجـة أقنعت القـيصـرة بقـداسـة هذا الرجل وبإنه هو الذى أرسلتـه العناية الإلـهيـه لإنقـاذ روسيا ، ولم تدرك الحقيقة الأليمة وهى أن هذا الرجل دجال محترف ، وكان الجميع قد سمعوا عن مـعجزاته فى وارسو عندما قام بشفاء عدد من الأطفال المصابين بالتسـمـم ، وقد تم له ذلك بمعاونة صيدلى صديقه يدعى " بارميف" ، الذى جهز له مـادة مخدرة تسبب صفرة فى وجـوه الأطفال وبرودة شـديدة فى أطرافـهم وتم حقن الأطفـال

بهـذه المادة سـراً ، وعندمـا سـاءت أحـوالهم جـاء القـديس المبـارك لإنقاذهم حيث حقنهم بمادة أخرى تفسد مفعول الحقنة الأولى .

إن ما حدث يعـتبر معجـزة فى نظر الناس أما الحقيـقة فهى أن " راسبوتين" ، دجال مخادع .

وكان إعجاب القيصرة براســبوتين عظيماً وإيمانها به بلا حدود ، وقد وعدها بحـمايتها من المؤامرات الكثيـرة التى تحاك ضدها والتى يعلم كل شئ عنها !! بل إنه أخـبرها أنه سيولد للقيـصر وريث ذكر يرث العرش .. وعندما تحـقق ذلك بعد شهور أصبحت القـيصرة تثق فى" راسبوتين " ثقة عمياء .

عندما طلبت القيصرة من " راسبـوتين"، الحضور لزيارتها اعتذر بمشاغله الـكثيرة ورعـايته لمصـالح فقراء روسـيا ، وغـاب عنها لمدة شهرين فكادت تجن ، وخلال هذه الفتـرة ولدت القيصرة طفلها الذى سيـصير وريث عرش آل رومـانوف ، وتحققت نبـوءة الدجال الذى رحل للتعبد فى سيبيريا !!

أرسلت القيصرة تستدعى " راسـبوتين " عدة مرات وهى تبشره بتحقق نبوءته ومولد طفل ذكر لآل روما نوف ، ولكنه أهمل الرد على رسائلهـا واستـمر فى معـبده يمارس شـهواته وملذاته مع أتبـاعه ، وعندمـا أرسلت إليـه تخبـره بأنهـا سوف ترسل إليـه وصـيفـتهـا لإحضـاره فخشى من افـتضاح أمـره ورحل إلى موسكو واستـقبله القيصر قائلاً :

.. أهلاً بمنقذنا ومرشـدنا الروحى .. إن مكانك هنا إلى جوارى فى القصر !!

ورغم تواضـعه الزائف فـإنه قبل العـرض الذى سعى إليـه طويلاً ودبر من أجله المؤامرات التى يعجز الشيطان ذاته عن تدبيرها ، وعند ذلك عرض عليه " راسـبوتين" ، أن يرقى أحد أصدقـائه وكان يعمل موظفاً فى وزارة الداخلية ، وعلى الفور أصدر القيصر أوامره بترقية " بروتوبوف" ، وقـد أصـبح هذا الرجل الخطيـر فـيمـا بعـد وزيراً للداخلية ومن أكبر أعوان الشيطان .

بعدها أصـبح " راسبوتين " مقـيماً إقامـة شبه دائمة فى القـصر وكانت سيطرته على مـقاليد الأمور تزداد يوماً بعـد يوم بفضل حيله الشيطانية وأصدقائه المنتشرين فى كل مكان .

وخلال السنوات التالية قتل عـدد من الرجال المخلصين لروسيا فى ظروف غامضة وثبت فيما بعد أن " راسبوتين"، وعصبته كانوا وراء هذه المؤامرات الدنيئة .

وهناك بعض الوثائق التاريـخية التى تدين " راسبـوتين"، وتؤكد عمله لمصلحـة الألمان ودفعه القـيصر إلى اتخاذ القـرارات التى تدمر روسيا ، ولا يتسع المجال هنا لذكر تفاصيل هذه المؤامرات .

وكما كـان " راسبوتين" ، يدعى شفـاء المرضى عن طريق حقنهم سراً ببعض العقاقير ثم معالجتهم بعقار مضاد فقد فعل ذلك مع ولى

العـهد الطفل المسكين .. وهكذا أصـبح راسبـوتين ، هو الوحيـد الذى لديه القدرة على شفاء ولى العهد من نوباته القاتلة .

وحاول الكثيـرون كشف ألاعيب " راسبوتين" ، ومخـازيه خاصة بعد أن اتسعت دائرة مـمارساته الشيطانية واستقطب عشرات النساء من الطبـقـة الراقيـة إلى مـذهبه الشـيطانى ، ولكنه كـان دائمـاً لهم بالمرصـاد ، وعندمـا حلت الهزائم بالقوات الروسيـة ازدادت المعارضة لهـذا الراهب الدجـال وأيقن عـدد مـن الروس المخلصين أن وراء كل هذه الكوارث الشيطان " راسـبوتين " ، وعقدوا العـزم على التخلص منه مهما كلفهم ذلك !!

القتل بمختلف الطرق:

بلغ نفـوذ " راسبوتـين"، وطغيانه حـداً رهيبـاً فى سنة ١٩١٦ ، وأدرك الجمـيع أن هذا الرجل يقف وراء هذه الكوارث المتلاحـقة التى حاقـت بروسيا وفـشلت بعض المحـاولات لاغتـيال " راسبـوتين"، أشهـرها محاولـة فتاة روسـية باسلة تدعى " أولجـا بوير" ، حيث طاشت الرصاصات التى أطلقـتها صوب راسبـوتين .رجل واحد كتب له شـرف قـتل هـذا الشـيطان وهو نبـيل روسى يـدعى " البـرنس يوسوبوف " ، كـانت تربطه صداقة قـديمة براسبـوتين ، فاتصل به ودعـاه إلى زيارته فى منـزله ، وبعـد حـديث ودى طويل قـدم إليـه البرنس بعض الكعك المسموم وهو يرتعد خوفاً ، ولكن " راسبوتين" التهم الكعكة الأولى الـتى تحتوى على سم سيـانيد البوتاسـيوم ..

سـريع المفعـول وكان بهـا من السم مـا يكفى لقتل ثلاثة رجـال ، ولكن الدقائق مرت دون أن يبدو عليه أى أثر ..

وبعد قليل ناوله " البرنس يوسوبوف " ، كـأسـاً من النبيذ وكانت مسمـومة أيضاً ثم اتبعه بعـدة كؤوس دون أن يظهر أثر للسم إلا ألم بسيط فى حلقه !!

ذهل البرنس وهو يرى هذا الشـيطان يتناول كؤوس الخمر تـباعاً وهو يبدى سعادته بجودة النبيذ !!

وبعد مرور سـاعتين تحطمت أعصاب البرنس تمامـاً وكان زملاءه فى الطابق الأعلى يتنظرون منه البـشرى ولكن دون جـدوى وعندما صعـد إليهم البـرنس كادوا يصعـقون ، فقـد تناول الرجل كمـية من السموم تكفى لقتل عشرة رجـال ، وقرر الجميع أن يهبطوا إلى أسفل ويقتلونه بمسـدساتهم ، ولكن " البـرنس يوسوبوف " أدرك أن هذه الخطوة قد تـنبه " راسبـوتين" ، إلى الخطر المحدق به وربما يـفشل تدبيـرهم ، فطلب إليهـم الانتظار على أن يتكفل هـو بإنـجـاز المهمـة وحده ..

وتناول مسـدس أحد الأصدقـاء وهبط إلى أسفل مرة أخـرة حيث وجد " راسبوتين " ، قد تحـسنت حالته بعد أن تناول بعض الشراب المنعش ، وازدادت دهشته عندما عـرض عليه الذهاب إلى أحد الأحياء سيئة السمعة حتى ينال جسده حظه من المتعة !!

وبعزيمة جبارة أخرج " يوسوبوف " مسدسه وقهر خوفه ثم صوب طلقة واحدة إلى قلب "راسبوتين " فأصابه إصابة قاتلة وسقط الشيطان بعد أن أطلق صرخة مروعة وهوى على ظهره ، فهرع الجميع إلى أسفل ليشاهدوا جثته ملقاة على الأرض ، كانت أصابعه تتقلص من الألم وعلى ثوبه بقعة دم حمراء ، وعندما أراد البعض أن يطلقوا عليه المزيد من الطلقات اعترض الأمير " يوسوبوف " ، حتى لا يتركوا المزيد من آثار الدماء بلا داع خاصة بعد أن بعد أن سكن جسد " راسبوتين" وتأكد الجميع أن الرصاصة اخترقت قلبه .. صعد الجميع الى أعلى ليشاوروا فيما بينهم وتركوا الجثة فى موضعها ..

قرر المتآمرون أن يدبروا أمرهم بحيث يبدو وكأن " راسبوتين"، قُتل في بيته لإبعاد الشبهة عن البرنس " يوسوبوف" ، فارتدى أحدهم معطف راسبوتين ، وأرخى قبعته على وجهه واتجه إلى داره حتى يظن من يراه أنه عاد إلى بيته ، وغادر الجميع منزل البرنس " يوسوبوف" ما عدا واحد فقط هو النائب " بيريشكفتش " ، كان الجميع يشعرون بإنهم قد أدوا خدمة جليلة لبلادهم وخلصوها من شر وبيل ، ولكن شيئاً خفياً أثار قلق البرنس وطرأ على ذهنه هذا التساؤل : ماذا لو لم يكن " راسبوتين " قد مات ؟!

وعلى الفور هبط إلى القاعة التى قتل فيها " راسبوتين " ، فوجده ما يزال راقداً فى مكانه ، وعندما جس نبضه دهش للغاية .. فهناك

نبض ضعيف إذن فمازال قلبه يعمل وماتزال جثته دافئة ، فأمسك البرنس بـالجثة وراح يهـزها بعنف شديد ، وفـجأة اختلـجت ملامح الشيطان وفـتح عينيـه الرهيبـتين وراح يوجه نظراته الطاغـية إلى " البرنس يوسـوبوف " ، الذى ألجمـه الرعب وعندما حـاول أن يصرخ احتبست الصرخة فى حلقـة ، وفى لحظة رهيبة وكأنه كابوس مرعب انبعث " راسبوتين " ، واقفاً على قدميه وأخذ يزأر زئيراً وحشياً حتى أطبق بيده الفولاذية على كتف البـرنس وراحت يده الأخرى تتجه إلى عنقـه وبجهـد جبـار أفلت البرنـس من قبـضه الشـيطان الذى ترنح وسقط على الأرض ثانية .

صرخ " يوسوبوف " ، عـالياً لينادى صديقه " بيـريشكفتش " ، الذى أقبل مسـرعاً ودهش حينما علم أن " راسبوتين " ، مـايزال حياً فأبرز مـسدسـه وأسرع إليـه كان " راسبـوتين " ، يزحف على أربع ويهـبط الدرج وهو يطلق صرخـات رهيبـة وأطلق "بير يشكفـتش" طلقتين أخطأنا الهـدف وكان " راسبوتين " ، قـد بلغ الفناء الخارجى وهنا أصابته الطلقـة الثالثة فى صدغه فـسقط على الأرض .. وعندما تحـقق البرنس من وفـاته عاد إليـه بعـد قليل فوجـده قد تحـرك من موضعه !!

جن جنونه وانطلق بسرعة لـيحضر الهراوة الضخـمة وراح يهوى بها بجـنون فوق كل أنحاء جـسد " راسـبوتين " حتى أنهكـه التعب وسقط مغشياً عليه .

وحمل أصدقـاء البرنس جثة " راسبـوتين " وألقوها فى الماء من فوق أحد الجسور ، ويقال إنه بعد استـخراج الجثة وتشريحها تبين أن سبب الوفـاة هو الاختناق !! أى إنه كـان ما يزال حيـاً عندما ألقى فى الماء !!

★★★

فان جوخ

الفن والجنون :

إن لوحات الفنان الهولندى الخالد " فنسنت فان جوخ " ، تعد من العلامات البارزة فى دنيا الفن ، ورغم موهبته الفائقة إلا أنه عاش بائساً معذباً غريباً فى وطنه وبين أهله ، فقد كان إنساناً شديد الحساسية مرهف القلب إلى أقصى الدرجات ، عاش حياة قصيرة للغاية ولكنها حافلة بألوان البؤس والعذاب والمعاناة ، كان فنه رائعاً إلى درجة حيرت العالم ، نجح فى أن يعكس فى لوحاته طبيعته الفائقة الحساسه وعمق معاناته وسط المجتمع .

ولكن التناقض كان شديداً بين حيرة العالم أمام لوحات " فان جوخ " وخبرته أمام تصرفاته العجيبة ، وأعجب هذه التصرفات على الإطلاق هى إقدامه على قطع أذنه بنفسه وحزمها بعناية ليقدمها هدية إلى حبيبته ، بينما كانت الدماء تتدفق حارة من جرحه الأليم !!

والعجيب فى الأمر أنه لم يكن هناك مبرر لديه ليقوم بهذا العمل الشاذ سوى أن حبيبته قالت له يوماً :

ما أجمل أذنيك يا فنسنت !!

ومن أجل هذه الكلمة وحتى يرضى حبيبته كما ينبغى لفنان نقى القلب لا يعرف سوى الصدق والصفاء بادر بقطع أذنه وحملها سعيداً إلى حبيبته ، وقد أحدثت فعلته هذه رد فعل شديد لدى أهله وأصدقائه ومعارفه وأتهمه الجميع بالجنون ..

ولسنا نعرف على وجه التحديد هل كانت شدة حساسية " فان جوخ " هى التى دفعته إلى هذه التصرفات الشاذة أم أن المرض العقلى كان تمكن منه تماماً ولم يعد يستطيع التحكم فى سلوكه .

لقد عانى " فان جوخ " ، نوبات من الجنون وتم إيداعه المستشفى ليتلقى العلاج ، ومن حسن حظه أنه لم يعش طويلاً حيث توفى وهو فى نحو السابعة والثلاثين من عمره فقط .

روائع الفن الحديث :

فى سنة ١٨٥٣ ولد " فنسنت فان جوخ" فى هولندا وكان منذ طفولته المبكرة يتميز بالحساسية الفائقة والوداعة والهدوء ، عشق الطبيعة إلى أقصى حد ، والعجيب أنه لم يزاول فن الرسم الذى صار فيما بعد واحداً من أعلامه إلا فى السنوات العشر الأخيرة من حياته القصيرة .

كان مشحوناً بشتى أنواع الانفعالات حب للحياة ولسائر المخلوقات ، عطف على كل ذوى الحاجة والتعساء والمعذبين .. عشق للطبيعة والجمال .. عذاب شديد وسط مجتمع لم يرحمه ولم يقدر

نبل مقاصـده وسمو روحه .. تمكن خـلال هذه المدة من رسم عدد كبـير من أروع اللوحـات العالميـة التى تقتنيـها المتاحف الـكبرى فى العالم حالياً .

من أهم الأحداث فى حـياته رحلته إلى باريس حـيث التقى بالفنان الكبيـر " جوجان" كمـا التقى بالفنان " ديجـا" وتـأثر بهما كثـيراً حيث بدأت لوحاته تأخذ طابعاً أكثر إشراقاً وحيوية .

وقد توفى فان جوخ فى سنة ١٨٩٠ .



بيكاسو

أعظم رسام فى العصر الحديث :

ربما كان المذهب التكعيبى فى الفن الحديث هو أكثر المذاهب الفنية التى دار حولها الجدل لسنوات طويلة ، وقد ابتدع هذا الأسلوب الفنان العظيم بابلو بيكاسو ، ويرجع ذلك إلى الصعوبة التى قد يجدها الإنسان العادى فى فهم معنى اللوحات التكعيبية لأول مرة ، ويرى " بيكاسو " أن الفن لايفهم بالعقل ولكن بالروح فيقول :

(لست أدرى لماذا يريد الناس دائماً أن يفهموا الفن بينما نحن لانسأل الطير عما تعنيه أغانيه ؟ ألسنا نحب الليل والأزهار وكل ما حولنا ، دون أن نحاول أن نجد لهذا الإعجاب معنى ؟)

والتكعيبية التى أثارت هذا الجدل الطويل ليست هى المرحلة الوحيدة فى حياة " بيكاسو " الحافلة بالفن والإبداع ، فهناك العديد من المراحل أولها المرحلة الزرقاء ثم المرحلة الوردية فالكلاسيكية الجديدة والواقعية والتكعيبية وغيرها من المراحل التى تعبر عن نضج الفنان وبلوغه أرقى مراتب الفن التى لم يسبقه إليها أحد .

لقد أثار " بيكاسو " عجب العالم عندما بلغ عامه التسعين ورغم

ذلك ظل يرتدى الشورت ويغازل المراهقات ويعيش حياة حافلة بالإنطلاق والإبداع ، لم تضعف ذاكرته ولم يفقد حساسيته وقدرته الهائلة على الرسم والإبداع ، وكان خلال حياته غزير الإنتاج إلى درجة لايتصورها العقل ، وتقدر عدد اللوحات التى رسمها بحوالى عشرين ألف لوحة ، كان الرسم بالنسبة له عبادة روحية واستغراق تام فى عالم الجمال والإبداع ، وعندما سئل عن كيفية قضائه ساعات طوال أمام لوحاته قال :

(عندما أبدأ بالرسم أترك جسدى خارج باب الاستوديو ، كما يفعل المسلمون عندما يدخلون المسجد للصلاة ، ان الرسم عندى عبادة واستغراق روحى)

كان مؤمناً بأن الفن رسالة سامية لاتتوقف عند حد أمتاع الأنظار بل إنه قادر على شفاء الإنسان من أمراضه النفسية والجسدية وعن ذلك يقول :

(سيأتى اليوم الذى تستطيع فيه اللوحة الفنية أن تشفى الإنسان الذى يشكو من ألم الأضراس ، إذا تأمل فى اللوحة واستوعبها)

كان بيكاسو شخصية عجيبة مليئة بالحركة والحيوية نابضة بإيقاع الحياة حافلة بالتناقضات ، فهو رسام نحات كاتب وأديب ، سياسى واسع الثقافة شديد الحساسية ثاقب البصر يقول عنه الناقد الفنى " ارنست اريوف " :

(له عينان تريان كل شيء ، وقلب يحب كل مافى الحياة والطبيعة ، وله يدان تستطيعان إبداع أروع الأعمال ، إنه واحد من أعظم الفنانين الذين عرفهم العالم على مر العصور)

ويكفى للدلالة على عظمة" بيكاسو " أن نذكر لوحته الفنية الخالدة (الجرنيكا) التى تعتبر أشهر لوحات القرن العشرين وهى أيضاً أعظم لوحة سياسية فى العصر الحديث ، وبالإضافة إلى الجرنيكا فقد أبدع " بيكاسو " عدداً من اللوحات الشهيرة التى تعد علامة مميزة فى تاريخ الفن .

الفنان الصغير :

ولد " بابلو جوزيه رويز بلاسكو) فى الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٨١ فى مدينة " ملقة " الأسبانية ، أما والدته فهى "ماريا بيكاسو" ومنها أخذ لقبه الذى اشتهر به فى كل أنحاء العالم ، ويقال إنه فعل ذلك بسبب خلافه مع والده وحبه العظيم لأمه .

كان والده رساماً يعمل بتدريس الرسم أيضاً ، وكان من الطبيعى أن يقوم بمحاولات لتعليم طفله الصغير فن الرسم ، ومنذ الوهلة الأولى التى بدأ فيها بابلو الصغير يتحكم فى القلم الرصاص ويضع خطوطه على الورق وضح تماماً مدى مايتمتع به من موهبة فطرية كبيرة ، استطاع ان يرسم العديد من الأشكال والحيوانات بدقة متناهية أذهلت الجميع وأدركوا أنهم أمام موهبة نادرة ، وعندما بلغ العاشرة كان قد بدأ يرسم لوحات طبيعية ذات قيمة فنية عالية .

التحق بمدرسة الفنون الجميلة فى " برشلونة " وهو فى الخامسة عشره من عمره بعد أن أجتاز امتحان القبول بها وهو عبارة عن لوحة يستطيع المتقدم أن يرسمها خلال شهر ، أما بيكاسو فقد رسمها فى يوم واحد فقط ، وقد أمضى بيكاسو فى هذه المدرسة عاماً واحداً ، ثم التحق بمدرسة أخرى فى العاصمة الأسبانية مدريد .

المرحلة الزرقاء :

كانت البداية الحقيقية للفنان العالمى " بابلو بيكاسو " فى مدينة باريس التى شهدت أروع إبداعاته والتى قضى بها بقية حياته المديدة ، وصل " بيكاسو " باريس معدماً فقيراً مغموراً ولكنه فيما بعد أصبح أشهر وأغنى وأعظم رسام فى العالم على الإطلاق .

كانت زيارته الأولى لباريس فى سنة ١٩٠١ وهو يناهز العشرين من عمره ، عاش فى " مونمارتر " حى الفنانين الشهير ، وبدأت حياته الفنية بما يعرف بالمرحلة الزرقاء ، وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب اللون الأزرق الذى استعمله " بيكاسو " فى لوحاته ولم يستخدم غيره ، وكانت تلك المرحلة هى أصعب المراحل فى حياته حيث عانى من الحزن والأسى العميق وكانت ألوانه القاتمة تعبيراً عما يعانيه ، ويقول بعض النقاد إنه استعمل هذا اللون ليؤكد للعالم مدى قدرته على رسم اللوحات بلون واحد فقط .

ويقول آخرون إنه فعل ذلك بسبب حزنه الشديد على صديقه الرسام " كارلوس كازاجيماس " الذى عاش معه فى مرسمه

وتعـرض لصدمـة عاطفـية دفـعـته للانتـحار ، ومن أهم لوحـات " بيكاسو " فى هذه المرحلة لوحة " مأتم وجنازة " ، كما رسم العديد من البائـسين والمعذبين والضعـفاء والمشـوهين وحفلت رسـومه بكل ألوان العذاب الإنسانى والكآبة والحزن .

وخلال هذه المرحلة عانى " بيكاسو " الفقر والحرمان ، وقد حمل إحدى لوحاته ليبـيعها بدولار واحد فقط ولكنه فشل فـعاد بها حزيناً وفى الطريق انهـمـر عليـه المطر الغـزير فـأتلف اللوحـة ، ولكن هذه اللوحـة بيـعت بعد ذلـك بخمـسـة آلاف دولار بعد أن عـرف العـالم بيكاسو .

التكعيبية :

ذكرنا أن الطريقـة التكعيـبية فى الرسم كـانت محـوراً للجدل بين الفنانين ، وقـد اتهم بعضـهم " بيكاسـو " بتشـويه فن الرسم ، فى سنة ١٩٠٧ بدأ " بيكاسو " هذه المـرحلة بلوحته الشـهيرة (فتـيات افنيون) التى استوحـاها من شارع افنيون فى برشلونة ، وقد رسم خمس فتيات بينهن نرنـجيتان ، وتعد هذه هى أول لوحة تكعيبية فى التاريخ وكانت حدثاً فنياً مدوياً فى ذلك الوقت .

وقد أعـجب بهذا اللون من الرسم عدد كـبير من الرسـامين مثل : جراى وبراك وغيرهما .

وقد سبـقت تلك المرحلة مايعرف بالمرحلة الوردية التى اسـتغرقت

حوالى عـامين تخلص فيهمـا " بيكاسو " من آثار الاكتئـاب والحزن وبدأت أحواله المادية فى الانتـعاش بعد طول معـاناة ، وكانت الألوان المبهجة تغلب على لوحاته فى تلك الفترة .

الجرنيكا:

رغم أن " بيكاســو " رحل إلى باريس وهو يناهز الـعشـرين من عمره ثم استقر بها إلى أن توفى إلا أن أسبانيا لم تفارق خياله لحظة واحدة ، فكان دائمـاً يتابع أخبـارها ويستوحى من إلهـامها عـشرات اللوحات الرائعة ، كما أن أكثر أصدقائه فى باريس كانوا من الأسبان ، ومن ناحيـة أخرى فيـعتبر " بيـكاسو " من أكثر الـفنانين العالميين ثقافة وإلماماً بالشئـون السياسية بصفة عامة وبشـئون وطنه أسبانيا بصفـة خاصة ، وكـان أكثـر ماهزّ مشـاعر بيكاسو وأدمـى قلبه هو قصف الطائرات النازية الحليفة لديكتـاتور أسبانيا " فرانكو " لمدينة " جيرنيكا " الأسـبانية معـقل الجمهوريين اليـساريين ، وذلك خلال الحرب الأهلية الأسبانية ، وكـان " بيكاسو " من أنصار الجمهوريين ، ومن وحى الدمـــار الرهيـب الذى لحق بالمدينـة من جـراء الـقنابل الألمانيـة أبدع بيكاسو " أروع " لوحـات القرن العـشرين وأشــهرها وهى لوحة " الجيرنيكا " .

ويقول " بيكاسو" ، عن دور الفنان فى الحياة والسياسة :

(أتظنون أن الفنان إنسان له عيون فقط إذا كان رساماً ؟ وله آذان فقط إذا كـان موسيـقياً ، إن الفنان رجـل سياسى ، وليـست الصور

واللوحات إلا أسلحة للدفاع والهجوم على الأعداء ، فهى ليست أدوات زنية تعلق فى لبيوت) .

ومن أعماق " بيكاسو" ، نبعت تلك اللوحة الخالدة التى يبلغ طولها ٢٥,٥ قدماً وعرضها ١١,٥ قدماً ، وتصور ببراعة مذهلة مدى الذعر والفزع والدمار الذى تعرضت له هذه البلدة المنكوبة ، وترى فى اللوحة التى رسمت بالطريقة التكعيبية مصباحاً كهربائياً مطفأ ، وحصاناً ترتسم على وجهه آيات الذعر والألم من جراء الحربة التى انغرست فى جسده بصورة وحشية ، وامرأة تصرخ فى رعب قاتل وهى مدلاة من إحدى النوافذ وأخرى تحاول الزحف لتصل إلى الحصان ، وجندياً مقتولاً مازال يقبض على سيفه المحطم ، وامرأة مشوهة بصورة بشعة ، وامرأة تحمل بين يديها طفلاً ميتاً وترتسم على وجهها أعظم آيات الحزن والتعاسة وبيتاً يحترق ، وثوراً ينظر بتحدى وقحة وغرور .

ورغم أن اللوحة تعبر بطريقة رائعة عن كل معانى الموت والخراب والدمار إلا أن " بيكاسو" ، لم يستخدم فيها ما يعبر عن الدم الأحمر ، ورغم المبالغ الطائلة التى عرضت عليه ثمناً للوحة الخالدة إلا إنه رفض بيعها رفضاً قاطعاً ، وكان هذا سلوكه دائماً نحو أعماله التى تكون قريبة من نفسه .

مواهب بلا حدود :

يقول أحد النقاد الفنيين عن " بيكاسو" :

(إن بيكاســو المؤرخ ، المثـال ، الأب ، الشاعـر ، العـالم ، الزوج ، واحد من أعظم الفنانين الذين عرفهم العالم على مر العصور) .

كان بيكاسو متعدد المواهب غزير الإنتاج واسع الإطلاع ، فبجانب ابداعاته الفنية الخالدة والتى بلغت حداً قياسياً كما أوضحنا ، فقد كان يتـمتع بالعـديد من المواهب ، كـتب المسرحـيـات ونظم الشعـر ولكن محاولاته لم تلق نـجاحاً يذكر ، قام بنحت العديد من التماثيل الرائعة وصمـم عدداً كبيراً من ديكورات المسرحيات وملابس المـمثلين ، ترك تراثاً عظيماً من رسوم الحفر والملصقات الإعلانية .

ومن أهم التصميمات التى تركـها تصميم زمز مؤتمر السلام الذى عقد بوارسو سنة ١٩٤٨ ، عقب الحرب العالميـة الثانية فرسم حمامة السلام الشــهيرة ، وكان بيكاسوا يـعشق الحمام لوداعتـه وقد أطلق على ابنته اسم "بالوما " أى الحمامة بالأسبانية .

لقى تكريماً رائعاً خلال حياته لم يشــهده فنان قبله ، فقد أ قيم له معرض ضخم فى متحف الفن الحديث بنيويورك سنة ١٩٥٧ عرضت فيـه عشرات الأعمـال الرائعة لبيكاســو ، وكان أضخم معـرض يقام لفنان بمفرده ، ومن المـعارض المتميـزة التى أقيمـت من أجل بيكاسو ذلك المعرض الذى أقامه متحف اللوفر العريق للوحات بيكاسـو سنة ١٩٧١ ، احتفـالاً ببلوغه سن التســعين ، وكانت تلك المرة الأولى التى يقام بها معرض فى متحف اللوفر لفنان فى حياته .

وفى صــبـاح يـوم الثـامن من أبريل سنة ١٩٧٣ قـطعت الإذاعـة

الفرنسية برامجها المعتادة لتعلن نباء وفاة الفنان العظيم " بابلو بيكاسو " ، عن عمر يناهز الواحدة والتسعين وبضعة أشهر عقب إصابته بالسكتة القلبية ، وكانت إحدى أمنياته قد تحققت ، فقد تمنى أن يموت بلا مرض يقعده عن الاستمرار فى العمل حيث قال :

(إننى لا أخاف الموت .. بل على العكس أجد فيه نوعاً من الجمال وإنما الذى يخيفنى هو أن أقع مريضاً ولا أستطيع الاستمرار فى العمل .. عندها يصبح الزمن ضائعاً ثقيلاً) .



أتاتورك

الاتجاه غربا :

منذ عدة سنوات ، وبعد أن انحسرت موجة الاتجاه نحو الغرب والعودة إلى الأصول والبحث عن الجذور انفتح باب المناقشة على مصراعية للنظر فيما خلفه الزعيم التركى " مصطفى كمال أتاتورك " ، من أعمال أحدثت انقلاباً شاملاً فى أحوال تركيا والعالم الإسلامى بصفة عامة ، ومازال هناك فريق يرى أن أتاتورك كان على حق فيما اتخذه من خطوات نحو الغرب وطمس الهوية الإسلامية من تركيا ، وفريق آخر هو الأغلبية .. يرى أن الرجل قد ارتكب خطيئة كبرى فى حق الدول الإسلامية جميعاً بالإضافة إلى أخطائه الكثيرة فى حق تركيا ..

إن خطايا أتاتورك عديدة لقد توج هذه الخطايا بإلغاء الخلافة الإسلامية وصار المسلمون بلا خليفة ، وألغى اللغة العربية كما ألغى سائر التشريعات الإسلامية وأخذ بالتشريعات الغربية ، ومنع حجاب المرأة المسلمة وألغى ارتداء الطربوش أو الزى الوطنى وألزم أبناء وطنه بارتداء الملابس الأوربية ، وألغى الأذان باللغة العربية

وجعله باللغة التركية ، كما ألغى التقويم الهجرى والمحاكم الشرعية وأغلق أكبر مسجدين فى مدينة استانبول وهما مسجد (أياصوفيا) و(محمد الفاتح) ، وفى عهده تم إعدام المئات من علماء الدين المسلمين .

الغاء الخلافة :

وقد خاض " أتاتورك " ، معارك طاحنة من أجل إلغاء الخلافة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف نكّل بالكثيرين من المسلمين المتمسكين بدينهم ، كان " أتاتورك "، جباراً طاغية لا يقبل أى معارضة أو تدخل فى قراراته مهما كانت ظالمة ، لقد جمع فى قبضته العديد من السلطات مثل رئاسة الجمهورية ورئاسة حزب الشعب بالإضافة إلى رئاسة الجمعية الوطنية (البرلمان) ، والقيادة العليا للجيش التركى وأيضاً رئاسة الوزراء !!

وفى تبريره لإلغاء الخلافة يقول : " أتاتورك" وهو يخاطب نواب الشعب :

(يجب صيانة الجمهورية المهددة بأى ثمن ، وجعلها تتقدم على أسس علمية متينة ، فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا ، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية ، ومدارس رجال الدين يجب أن تخلى مكانها لمدارس حكومية غير دينية)

أى أن السبب فى تخلف تركيا عن اللحاق بركب التقدم والحضارة من وجهة نظر أتاتورك هو التمسك بالإسلام !! إن تهمة الخيانة العظمى كانت هى التهمة التى تنتظر كل من يعارض أتاتورك فى الرأى أو يجاهر بانتقاده ، وقد انتشر رجال البوليس السرى فى ربوع البلاد للإيقاع بخصوم أتاتورك والتنكيل بهم .

ويذكر المؤرخون أن أتاتورك قام بالتوقيع على قرار بإعدام أحد أصدقائه المقربين ويدعى " عارف" ، بعد أن انضم إلى جانب المعارضة ، وكان ذلك ضمن حكم بالإعدام على جميع المتهمين فى أحد القضايا السياسية ، وقد وقع أتاتورك على قرارات الإعدام دون أن تختلج فى وجهة عضلة واحدة !!

ولاننسى أن أتاتورك عمل جاهداً على طمس الهوية الإسلامية من تركيا حيث أنشأ مدارس لتعليم الرقص الغربى وولّى المرأة منصب القضاء وعاقب كل من يستعمل الحروف العربية فى الكتابة .

وبعد أن انتهى من تدمير الامبراطورية الإسلامية العثمانية بعث خليفته (عصمت اينونو) إلى بريطانيا برسالة توضح بجلاء مدى خيانته للمسلمين حيث يقول فى بعض سطورها :

" لماذا تقاتلوننا مرة أخرى ؟ لقد كنا امبراطورية كبيرة ، وكنتم تخشون جانبنا ، ولم يبق إلا العنصر التركى فى الأناضول ، وأصبحنا لايخشى جانبنا فاتركونا مستمتعين باستقلالنا كعنصر تركى وحده " وعلى الجانب الاخر فهذه بعض أعمال أتاتورك التى

ضخمتها أجهزة الدعاية فى محاولة منها لتحسين صورته أمام أبناء العالم الإسلامى ، ولمَ لاتفعل وهو الذى قدم للغرب أعظم خدمة فى تاريخه ؟!!

قاد مصطفى كمال أتاتورك القوات التركية فى ليبيا واستطاع إلحاق الهزيمة مرات عديدة بالقوات الإيطالية التى جاءت لغزو ليبيا .

فى سنة ١٩١٥ وأثناء الحرب العالمية الأولى كان أتاتورك يتولى قيادة القوات التركية المتمركزة فى شبه جزيرة جاليبولى الاستراتيجية واستطاع أن يلحق بالقوات الفرنسية والإنجليزية هزيمة منكرة ، وكانت القوات الغازية قد تمكنت فى البداية من احتلال أجزاء من شبه الجزيرة قبل أن يتمكن الأتراك من دحرها .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تعرضت تركيا لخطر التقسيم بواسطة الحلفاء الذين هزموا ألمانيا وتركيا ، وقد احتلت القوات اليونانية مدينة أزمير الاستراتيجية ، وهنا قام أتاتورك بتعبئة الأتراك واستنهاضهم للدفاع عن وحدة أراضيهم وطرد المستعمرين ، وتمكنت القوات التركية المدعومة من الشعب من طرد القوات المحتلة بعد عدة معارك طاحنة .

بعد أن استقرت الأحوال السياسية فى تركيا عمل أتاتورك على بناء تركية الحديثة عن طريق إقامة المصانع الكبرى وتنمية الصادرات وتنشيط الاقتصاد لتصبح تركيا دولة قوية لاتلجأ إلى غيرها من الدول لإمدادها بالغذاء أو المنتجات الصناعية الأساسية .

البعث الإسلامى :

ولم يغفل أتاتورك حماية أمن تركيا فـعقد عدة معاهدات مع الدول المجاورة لحماية الحدود التركية .

ولكن هل نـجح هذا الطاغية فى الارتقاء بالشعب التركى وانتشاله من التخلف والجهل كما كان يدعى ؟

هل نـجح فى اسـتئـصال نور الإيمان المتـغلغل فى عقـول وقلوب الشعب التركى ؟

الإجـابة .. كلا لقـد فـشل فى ذلك فشـلاً ذريعـاً والدليل على ذلك النـجـاح الـسـاحق الذى حـقـقـه حـزب (الـرفـاه الإسـلامى) فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٥ وتولى زعيمه " نـجم الدين أربكان " منصب رئيس الـوزراء وسط دهشـة العـالم الغـربى الذى ظن أن تركيا الإسـلامية قد اندثرت إلى الأبد وأن الإسلام لن تقـوم له قائمة بعد ذلك ، ولكن التأييـد الساحق والمتعاظم الذى يلقـاه حزب (الرفاه الإسلامى) الحديث التكوين قلب كل حسابات الغرب وأثبت للعالم أن الشعب التركى لم يتخل عن هويته الإسلامية .



ستالين

عبقرية شريرة:

الزعيم السوڤيتى " جوزيف ستالين هو أحد العبقريات التى عرفها العالم ولكنها على حد وصف المؤلف الأمريكى " مايكل هارت"، عبقرية شريرة .. وبالفعل نجد أن شخصية ستالين من الشخصيات العجيبة حقاً فهو من ناحية قد أثر فى حياة مئات الملايين من البشر سواء الذين عاشوا داخل حدود الاتحاد السوڤيتى أم خارجها ، ومن ناحية أخرى فقد لعب دوراً خطيراً فى رسم خريطة العالم وتدعيم قوة الامبراطورية السوڤيتية لتصبح القوة العظمى الثانية .

وهى شخصية تحتوى على العديد من المتناقضات ، وإن كان العالم ينظر الآن إلى ستالين كدكتاتور دموى قتل ما يزيد على عشرين مليوناً من مواطنيه التعساء منهم نسبة كبيرة من العلماء والمثقفين والمبعدين ، وهو مثل غيره من الشخصيات التى قدمناها نجد العشرات الذين يدافعون عنها ويحاولون تبرير أخطائها بل ويحولونها إلى مزايا وعلى العكس فهناك الكثيرون الذين ينتهزون

كل فرصــة للتعـريض بصاحـبها وذكـر مساوئـه ومن خلال هذا العرض السـريع لسيـرة ستـالين سوف نـرى التناقض العجـيب بين إنــجازات هذا الرجل الرائعة وبين مساوئه المخزية .

فى سنة ١٨٧٩ ولد " جوزيف فيسبـاريو فتش جوجا شفيلى " ، وذلك على أرجح الروايات وكـان ذلك فى مـدينة جورى بجـمهـورية جورجيا .. وكان والده عاملاً بسيطاً سئ الحال دائم السكر ، وعندما ساءت الأحوال هاجرت الأسرة إلى مدينة تفليسى عاصمة جورجيا ، وهناك التـحق " جـوزيف "، بإحدى المـدارس الابتدائيـة ثم التـحق بمدرسة دينية ولكنه لم يحب الدراسـة يوماً وانصرف يطالع بشغف كل ما كتب عن الاشـتراكية ومساوئ البرجـوازية ، ومن العجيب أنه راح يدعو إلى المـبادئ الاشتـراكية وهـو فى المدرسة الدينيـة ويجمع زملاءه وينشر بينهم المبادئ وقد تطورت الأمـور سريعاً لتنتهى بهذا الحادث ذى الدلالة الهامة فى حياة " جوزيف".

حادث ذو دلالة عميقة :

لقـد علمت إدارة المدرسـة بنشـاط الفتى جـوزيف داخل المدرسـة وقررت بالإجمـاع فصله خوفاً من أن يفتن زمـلاءه ، وبالإضافة إلى ذلك تقرر معاقبة باقى الزملاء الذين اشتركوا فى هذه الاجتماعات .

ومن العجيب أن الذى وشى بهؤلاء الزملاء هو جوزيف نفسه !

ويبرر جـوزيف هذا الموقف العجيب بأنه فـعل ذلك حتى ينكشف

أمر هؤلاء الزملاء على الملأ ويعرف الجميع أنهم أعضاء فى الحزب الشيوعى وبهذه الطريقة لا يمكنهم التراجع بعد ذلك !!

إنه حقاً عقل يتميز بالعبقرية الشيطانية ..

وبدأ يمارس نشاطه المحموم داخل صفوف الحزب الشيوعى وراح يؤلب الجماهير على الحكومة القيصرية ويعدد مساوئ البرجوازية ، ويدبر المؤامرات ضد الحكومة ، كان شديد البراعة فى تدبير المؤامرات ، وتعرض للمطاردة الدائمة من قبل الحكومة ، وقد ساهم فى هذه الفترة من حياته فى بث بذور الثورة بين الجماهير ونجح فى تنفيذ عدد من الاضرابات العمالية التى زعزعت مركز الحكومة ، ألقى القبض على ستالين عدة مرات وتم إيداعه السجن ونفيه إلى سيبيريا ، ولكنه كان ينجح دائما فى الهرب من سجنه بطرق غاية فى البراعة متحدياً الأخطار الشديدة مما اكسبه تعاطف الآلاف من مواطنيه .

وفى عام ١٩٠٥ اشترك مع أحد زملائه فى اغتيال حاكم جورجيا .

ومما يؤكد قدرته الفائقة على حبك المؤامرات أن عدداً كبيراً من زملائه فى الحزب الشيوعى فى جورجيا قد اختفوا وهم الذين ثارت حولهم الشكوك أو وجهت إليهم تهم الخيانة والتعاون مع السلطات ، وقد أكد الكثيرون أن ستالين كان وراء هذا الاختفاء الغامض .

السياسى النشيط :

وفى إحدى المرات التى نجح فيها فى الهروب من منفاه فى سيبيريا هرب إلى أوربا ، وفى باريس التقى مع الزعيم الشيوعى لينين الذى أعجب بنشاطه وبإخلاصه الشديد للشيوعية وقد وقع اختيار لينين عليه ليكون أحد كبار معاونية فى صراعه مع زعماء الحزب الشيوعى ، وفى هذه الفترة أطلق عليه لقب " ستالين " أى (الرجل الفولاذى) .

وقد تولى " ستالين " ، مهمة الدعاية للشيوعيين البلاشفة وتدعيم مركز الحزب وسط الجماهير ، وتولى الإشراف على جريدة " ازفيزتيا "، و" برافدا " ، وكان يعاونه رفيقه " مالينوفسكى " ، وفى هذه المرحلة اشتدت حملات المطاردة التى كانت تقوم بها الحكومة للإيقاع بستالين ورفاقه ، وقد ذهل " ستالين "، عندما اقتحمت قوات الحكومة مركزه السرى الحصين وتم سجنه ونفيه إلى أقصى بقاع سيبيريا حتى لا يتمكن من الهرب ، وبعد فترة طويلة من الحيرة والعجب أدرك " ستالين "، الحقيقة فقد أوقع به رفيقه " مالينوفسكى " ، الذى كان عميلاً سرياً للحكومة !!

صراع على السلطة :

وفى سنة ١٩١٧ اندلعت الثورة الروسية الكبرى وشهدت البلاد صراعاً دموياً رهيباً سالت الدماء فيه أنهاراً .. وأخيراً تمكن الشيوعيون البلاشفة بزعامة "لينين " ورفاقه من السيطرة على

مقاليد الأمور ، وتم تعيين " ستالين " ، وزيراً للأقليات ، وهى وظيفة غير براقة ولكن ستالين كان سعيداً بها ، أما " ليون تروتسكى " الرجل الثانى فى الثورة الشيوعية فقد تولى منصب وزير الخارجية ، وكانت المنافسة على أشدها بين " ستالين " و" تروتسكى " ، وكان " لينين " يميل إلى " تروتسكى" ويرى أنه خليفته المناسب حيث جاء فى وصيته :

(ستالين وقح جداً ، وعيبه هذا لا يطاق إذ كان يحتل منصب السكرتير العام للحزب ، لذا فإنى اقترح على الرفاق أن يجدوا طريقه من الطرق لإزاحته عن هذا المنصب وتعيين رجل أخر مكانه ، رجل أكثر جداً وأوفر أدباً وأكثر اهتماماً بالرفاق وأقل تقلباً) .

وكان " ستالين " قد تولى منصب السكرتير العام للحزب وهو أحد المناصب المستحدثة ذات الثقل الكبير ، ولكن " ستالين " المعروف ببراعته الشديدة فى حبك المؤامرات نجح فى استقطاب اثنين من كبار زعماء الحزب الشيوعى وهما " كامنييف " و" زيتوفيف " ، إلى صفه ليشكلوا جبهة واحدة ضد " تروتسكى"، وبعد وفاة لينين سنة ١٩٢٤ تم إقصاء " تروتسكى " وتولى ستالين القيادة وبدأ حملة تطهير دموية للتخلص من كل أنصار تروتسكي الذى اضطر للهرب من الاتحاد السوڤيتى .

الستار الحديدى :

وبعد أن انتهى ستالين من منافسه " تروتسكى"، تخلص من

رفيقيه "كامنيف " و" زيتوفيف" ، ليصبح هو الزعيم الأوحد فى الاتحاد السوفيتى ، وفى غضون ذلك تخلص من جميع القادة العسكريين الذين شك فى ولائهم ونفى عشرات الآلاف من الواطنين والعلماء والمفكرين إلى سيبيريا وقليل جداً منهم الذين عادوا أحياء ، وفى عهده تحولت جمهوريات الاتحاد السوفيتى إلى سجن كبير من المستحيل الخروج منه بسلام ، وكانت تهمة الخيانة العظمى هى أكثر التهم استخداماً فى هذا العهد ، وعقوبتها هى الإعدام دون تردد .

وقد بلغ ستالين حداً رهيباً فى التخلص من أبناء شعبه ، فهو لم يتخلص من منافسيه فقط بل تخلص من كل شخص يخشى أن يصبح صاحب نفوذ فيما بعد !!

فقد تخلص فى سنة ١٩٣٤ من أحد أقرب مستشارية وهو " سيرجى كبروف" ، وفى سنة ١٩٣٨ قام بإعدام أحد أخلص أتباعه وهو " ياجودا" ، الذى كان مسئولاً عن القيام بعمليات التصفية الجسدية ، وخلفه رجل يدعى " نيروف" ، الذى لم يكن حظه أحسن من حظ سابقه ، فقد أصدر " ستالين"، أوامرع بإعدام " نيروف " أيضاً !!

وقيل إن " ستالين " ، قد أعدم من الشيوعيين أضعاف ما فعل قيصر روسيا !!

بل إن ضحايا مزارع العمل الجماعى بلغوا حوالى ثلاثة ملايين فلاح راحوا ضحية الجوع أو المعاملة القاسية فى السجون .

ويعتبر البعض أن " ستالين "، هو أكبر ديكتاتور فى التاريخ نظراً للعدد الكبير من البشر الذين تأثروا بحكمه ، فقد حكم الامبراطورية السوفيتيه والتى كانت تمثل حوالى سدس العالم بالإضافة إلى دول الستار الحديدى التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى سيطرة كاملة ، وهى دول شرق ووسط أوربا .

ونحن بصدد الحديث عن تلك الشخصيات العجيبة فى التاريخ لا يفوتنا أن نذكر موقف " ستالين "، من ابنه " يعقوب " ، الذى أنجبه من زوجته الأولى ، فقد نجح الألمان فى أسر هذا الابن خلال الحرب العالمية الثانية وأعلنوا استعدادهم لمبادلتهبعدد من الأسرى الألمان ولكن "ستالين" ، صاحب القلب الحجرى رفض هذا العرض ليموت ابنه فى سجون ألمانيا !!

وفى عهد " ستالين " ، توسعت حدود الاتحاد السوفيتى إلى أقصى حدودها كما أصبح القوة الثانية العظمى فى العالم ونجحت التجارب النووية السوفيتية فى سنة ١٩٤٩ ليصبح الاتحاد السوفيتى أحد القوى النووية الكبرى كما قامت فى عهده نهضة صناعية كبرى بالإضافة إلى تطبيق ماعرف بسياسات الخطط الخمسية .

ولا ننسى أيضاً الدور الكبير الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى القضاء على ألمانيا النازية .

ولم تظهر هذه المساوئ ولم يعرف العالم تفاصيلها إلا بعد وفاة "

ستالين" ، فى سنة ١٩٥٢ وتوالت بعـدها التفاصيل الرهيبـة ليعرف العالم " ستالين " ، على حقيقته !!

★ ★ ★

ليون تروتسكى

من الشخصيات التى مازالت تحير العالم حتى يومنا هذا شخصية الزعيم السوفيتى " ليون تروتسكى " . صاحب العزيمة الخارقة والطاقة الجبارة ، بالإضافة إلى إنه أحد ثلاثة نهضت على أكتافهم الامبراطورية الشيوعية السابقة بالاتحاد السوفيتى ورفيقيه هما " لينين " و " ستالين " ، وبالرغم من أن " تروتسكى " ، كان هو الرجل الثانى فى الدولة السوفيتية بعد لينين وكان يسبق ستالين ويتفوق عليه ببراعته وقوة حجته وثقافته الواسعة .. ورغم ذلك فقد أنتهى نهاية لم يتوقعها أحد !!

ثورى منذ نعومة أظافره :

اسمه الحقيقى " ليفى دافيدو فيتش بروتشتين " ، منذ حداثته كان دائم التفكير فى مأساة التعساء من أهل روسيا ، وأغلبهم من الفلاحين المسخرين لخدمة كبار الإقطاعيين ، وخلال العقدين الأخرين من القرن التاسع عشر انتشرت الأفكار الاشتراكية فى أوربا بفضل بعض المفكرين وعلى رأسهم " كارل ماركس " ، ورفيقه " انجلز " وقد لقيت هذه الأفكار أرضاً خصبة فى روسيا لكى تنمو وتترعرع نظراً لشدة الظلم والقهر الواقعين على عامة الشعب .

ورغم أنه لم يستكمل دراسته بالجامعة بصورة منتظمة إلا أنه كان واسع القراءة عـاشقاً للاطلاع حـتى أصبح من كبـار المؤمنين بالفكر الاشتراكى المتطرف ، وتدريجياً تحـول إلى الفكر الثورى وأصبح أحد أعلامه ، وقد حقق شـهرة كبيرة فى أوساط الاشتراكـية لما يتمتع به من مواهب الخطابة والقـدرة على الإقناع المدعومة بثـقافته الواسـعة بالإضـافة إلى قـوة عزيمتـه وقدرته الفـائقة على العـمل الدؤب تحت أصعب الظروف وكان من الطبيـعى أن تلتقى أفكاره مع أفكار الزعيم الثورى " لينين " .

وكانت بداية معاناته عـندما نفى إلى سيبيريا بتهـمة الاشتراك فى مؤامرة ضد القيصر ، وهناك قضـى بعض الوقت فى الدراسة المتعمقة للنظرية الاشتراكـية ، وفى عام ١٩٠٢ تمكن من الهرب من سيـبيريا باستـخدام جواز سـفر باسم " ليون تروتـسكى " ، وهو اسم مدير السجن .. وقد ظل هـذا الاسم ملتصقاً به واندثر اسـمه الأصلى تماماً ولم يعد أحد يذكره .

لقاؤه مع لينين :

كـان لقـاؤه الأول مع الزعـيم " لينـين " ، فى مـديـنة زيورخ السويسرية حيث وجد العديد مـن الثوريين الأمان وكان من الطبيعى أن تتلاقى أفكارهم وتتوحد خططهـما من أجل العمل الثورى ، وخلال تلك الفـترة قـام " تروتسكى " ، بالعـديد من الرحـلات إلى فرنسـا ولندن والولايات المتحدة الأمريكيـة ناشراً أفكاره الثورية ، وقد عرف

بقدرته الفائقة على إقناع خصومه واجتذابهم إلى صفه .

وخلال السنوات التى سبقت الثورة الروسية الكبرى انقسم الاشتراكيون الروس إلى جناحين رئيسيين هما البولشفيك والمانشفيك وكان البولشفيك يؤمنون بتحقيق أهدافهم عن طريق العنف والثورة بينما نادى خصومهم بالأسلوب السلمى والتدرج فى تطبيق الاشتراكية ، ولم ينضم تروتسكى إلى أى منهما حتى قامت الثورة فى سنة ١٩١٧ وعندها انضم إلى البولشفيك الذين تزعمهم " لينين " ، وكان تروتسكى من أهم دعامات تلك الثورة وأحد عوامل نجاحها .

القائد الأحمر :

تولى " تروتسكى " ، العديد من المناصب الخطيرة فى القيادة الشيوعية وكان أهم تلك المناصب هو قائد الجيش الأحمر الروسى ، وهو المنصب الثانى مباشرة بعد القائد " لينين " ، واستطاع أن يحقق العديد من الانتصارات الهامة والتى دعمت مركز البولشفيك ، وإن تميز أسلوبه دائماً بالقسوة والعنف والبطش بخصومه بلا رحمة .. ولكنه فى النهاية حظى بشعبية جارفة فى أوساط الثوريين نظراً لما خلعته عليه وسائل الإعلام من صفات البطولة وآيات الشجاعة بالإضافة إلى أسلوبه الجذاب وثقافته الواسعة .

وقد تولى بعد ذلك وزارة الخارجية ، فى البداية عارض زعيمه "لينين" فى إجراء مفاوضات مع الألمان وانسحاب روسيا من

الحرب العالمية الأولى ، ولكنه عاد بعد ذلك ووقع الاتفاقيه مع الألمان ممثلاً للاتحاد السوفيتى ، وهنا تبرز واحدة من أهم صفات " تروتسكى " ، وهى الميل الشديد للجدل والوقوف دائماً فى صف المعارضة ، وتلك الصفة هى التى قضت على مجده المرتقب ومكنت لأحد فلاحى جورجيا الذى لم يحصل على قدر يذكر من التعليم أو الثقافة أن يصبح هو خليفة " لينين " ، ذلك هو " جوزيف ستالين ".

فى المنفى:

فى عام ١٩٢٤ توفى الزعيم " لينين " ، عقب إصابته بالشلل ، وتمكن " ستالين "، الذى كان يعمل فى صمت شديد الى الإطاحة بمعارضية واحداً وراء الآخر وقد ساعدته الظروف كثيراً حيث كان خصمه اللدود " تروتسكى " ، خارج البلاد ، وعقب عودته نشب الصراع بينهما ، واستمر هذا الصراع لعدة سنوات ولم يتمكن " ستالين " ، من إقصاء خصمه نظراً لما يحظى به من شعبية جارفة ، وقد استمر الجدل والصدام بين الرجلين لعدة سنوات تمكن خلالها " ستالين " ، من حبك مؤامرة محكمة حول " تروتسكى " ، ليتمكن فى النهاية من نفيه إلى (المآتا) ، عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية ، وتمكن تروتسكى من الهرب خارج الاتحاد السوفيتى بمعاونة أنصاره الذين كان عددهم يزداد باضطراد ، ورحل إلى باريس واسطنبول وأوسلو ثم استقر أخيراً فى العاصمة المكسيكية

بعد أن حصل على إذن من السلطات المكسيكية ، وخلال هذه الفترة كان أنصاره يتزايد عددهم داخل الاتحاد السوفيتى .

المؤامرة:

ولم يهنأ " ستالين " ، يوماً بعد رحيل خصمه اللدود ، فهو يهدد شيطرته المطلقة على الاتحاد السوفيت والدول التى تدور فى فلكه ، كما أنه يخشى من حب الجماهير الجارف لهذا الزعيم صاحب الأمجاد الكبرى فى تأسيس الامبراطورية السوفيتية ، وفى سنة ١٩٣٦ أصدرت محكمة موسكو حكمها بالإعدام على تروتسكى بتهمة التآمر ضد الدولة السوفيتية ، وهى التهمة التى ألصقها " ستالين " ، بعشرات من خصومه وأوردهم موارد التهلكه .

وفى شهر مايو من عام ١٩٤٠ ، اقتحم حوالى عشرين مسلحاً يرتدون زى الشرطة والجيش بالمكسيك منز ل" تروتسكى " وفتحوا النار على جميع حجرات المنزل ثم لاذو بالفرار ، ولكن العجيب أن " تروتسكى " لم يقتل هو أو زوجته حيث إختفيا أسفل السرير ..

ولكن المؤامرات لم تهدأ .. ففى ٣٠ أغسطس عام ١٩٤٠ تمكن "فرانك جاكسون " ، السكرتير الخاص لتروتسكى من قتله بواسطة بلطة خبأها فى ملابسه ، وانتهز فرصة انكباب ضحيته على مكتبه فأسرع بتسديد الضربة القاتلة إلى رقبته ..

وهكذا قتل " تروتسكى " ، الزعيم الثورى الذى أثار الجدل وحظى بتعاطف الملايين فى كافة أنحاء العالم وكان من المحتمل أن يصبح زعيم الاتحاد السوفيتى وخليفة لينين ..

★★★

هتلر

مجموعة من المتناقضات :

إن الحديث عن الزعيم الألماني الشهير " أدولف هتلر " ، يعتبر تكملة لحديثنا عن عدد كبير من الطغاة المجانين أمثال " نيرون " ، و " چنكيز خان " و " روبسبير " ، ولكنه يختلف عنهم في نقطة هامة ، وهي أنه الوحيد الذي كان صعلوكاً متشرداً ، فلم يكن أهله من طبقة الحكام أو النبلاء مثل " نيرون " و" چنكيز خان " ، ولم يحصل على قدر من التعليم والثقافة مثل " روبسبير " ، ومن العجيب حقاً أن يصبح هذا الصعلوك الضائع وسط شوارع ألمانيا زعيماً لأقوى دولة في العالم خلال حوالي عشر سنوات منذ منتصف الثلاثينات وحتى منتصف الأربعينات ..

ورغم عدائه الشديد لعدد كبير من الأجناس البشرية إلا إنه نجح في السيطرة على أفئدة معظم أفراد الشعب الألماني ، فكان يبدو أمامهم في صورة الوطني الغيور على وطنه الساعي إلى وضع بلاده في طليعة الأمم ، وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة قدراته الخطابية العالية ، فهو يعتبر من أشهر الخطباء في التاريخ حيث برع في إلقاء

الخطب الحماسية والكلمات النارية التى تلهب حماس جموع الشعب وتدفعهم إلى بذل أرواحهم فى سبيل الوطن .

وقد تمكن هذا الصعلوك الذى ذاق مرارة الفقر والحرمان وهام على وجهه كثيراً فى شوارع ألمانيا ، تمكن من فرض سيطرته على مساحات هائلة من القارة الأوربية ليجعل من ألمانيا أكبر امبراطورية فى العصر الحديث ، كما نشر الرعب والذعر فى أنحاء العالم وارتكب أبشع الجرائم فى حق عدد كبير من الأجناس مثل اليهود والروس والغجر ، حيث كان يتم جمع الآلاف من هؤلاء التعساء وتجريدهم من كل ما ينتفع به ثم تجرى لهم عمليات الإبادة الجماعية فى المحارق .. ويقال إن النازيين كانوا يستغلون بقايا الجثث فى العديد من الصناعات مثل صناعة الصابون !!

ومن العجيب حقاً أن هذا الزعيم المتطرف الذى يؤمن بسيادة ألمانيا على العالم والذى جعل شعاره ألمانيا فوق الجميع لم يكن ألمانى الجنسية بل كان نمساوى الجنسية والمولد ، ولكنه فاق فى تعصبه لألمانيا أكثر الألمان تعصباً وتطرفاً ويا لها من مفارقات عجيبة .

وكان أكثر ما أثار حيرة العالم وذهوله إصرار " هتلر " ، العجيب على عدم الأنسحاب من أى أرض احتلها الألمان مهما كانت الأسباب ، وعندما كان القادة الألمان يبعثون إليه بخططهم التى تقضى بضرورة الانسحاب لأسباب قاهرة وحتى لا تتعرض قواتهم للفناء ، كان يرفض بشدة ويأمرهم بالثبات حتى الموت ، ونتيجة لهذا التصلب

العجيب خسر الألمان عشرات الآلاف من خيرة جنودهم على مختلف الجبهات ، ولولا براعة عدد كبير من القادة العسكريين الألمان لتضاعفت الخسائر بصورة هائلة ، وحتى عندما أطبق الحلفاء على برلين من كل الجهات وضاع الأمل فى إنقاذ شرف المانيا لم يفكر هتلر لحظة فى التخلى عن أحلامه الجوفاء ، ولم يعترف بينه وبين نفسه بإنه أضاع بلاده ووضعها فى موقف أسوأ من موقفها عقب الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى ، فقد تكالب الحلفاء على ألمانيا واقتسموا عاصمتها برلين فيما بينهم وتعرض الألمان لمهانة شديدة لم يتخيلها أحد على الإطلاق ولكن بعد فوات الأوان ، فقد انتحر زعيم الرايخ الثالث وترك بلاده تواجه مصيرها المحتوم ، وراح الشعب الألمانى يدفع ثمناً باهظاً لمغامرات زعيمه المجنون .

الفنان الفاشل :

منذ عدة أعوام تم بيع عدد من اللوحات الفنية التى رسمها الزعيم الألمانى " هتلر " ، فى مطلع شبابه ، لم تكن هذه اللوحات ذات قيمة فنية على الإطلاق ولكنها بالطبع تحمل قيمة تاريخية كبيرة ، وهى تعبر عن مرحلة الضياع والتشرد التى عاشها " هتلر " ، سنوات فى شوارع ألمانيا وبصفة خاصة مدينة ميونخ التى رحل إليها عقب مغادرته لمسقط رأسه فى مدينة (براوناو) النمساوية ، فقد ولد " أدولف هتلر " فى سنة ١٨٨٩ فى هذه المدينة النمساوية التى تقع على الحدود بين ألمانيا والنمسا ، كان والده موظفاً صغيراً فى

الجمارك النمساوية ، تلقى هتلر علومه الأولية فى مدينة ميونخ قبل أن يرحل إلى النمسا وبالتحديد إلى مدينة ڤيينا عاصمة الفن والجمال والإبداع لكى يلتحق بأكاديمية الفنون ، كان ذلك فى عام ١٩٠٧ وقد رفض طلبه لرداءة أعماله .

مارس عدة أعمال يدوية من أجل الحصول على لقمة العيش وكان يقضى أياماً بطولها لا يدخل جوفه طعام وعرف معنى الحرمان والتشرد والضياع وسط شوارع المدن الكبرى وبدأت كراهيته لليهود فى هذه الفترة كما بدأت أفكاره العنصرية فى التبلور ..

ومن ضمن الأعمال التى مارسها فى مدينة ميونخ أعمال النقاشة وتعد فترة الضياع فى حياة "هتلر" هى إحدى العوامل الهامة والتى انعكست نتائجها فيما بعد على تصرفات " هتلر " وسلوكه الشديد التطرف ..

أما العامل الثانى والهام فهو هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى وما تبع هذه الهزيمة من إذلال شديد .

وسام الشجاعة :

مع بداية الحرب العالمية الأولى وبدافع من وطنيته المتطرفة انضم هتلر إلى الجيش البافارى وخاض غمار الحرب وأظهر شجاعة فائقة استحق من أجلها الحصول على " وسام الصليب الحديدى " ، الرفيع وخلال الحرب وفى ميادين القتال بدأت شخصية " هتلر " ،

فى النضوج وتعاظم حبه لألمانيا عندما لمس بنفسه مدى الأخطاء التى أدت إلى هزيمتها فى الحرب وكان من الممكن تجنبها ومع نهاية الحرب اكتملت معاناته بعد إصابته بالغازات السامة إثر غارة جوية شنتها القوات المعادية على مواقع الألمان ، وقد أصيب " هتلر " ، بفقدان مؤقت للبصر شفى منه بعد أن قضى بعض الوقت فى المستشفى .

عقب الحرب بدأت مأساة ألمانيا ، حيث فرضت الدول المنتصرة عدة عقوبات مهينة على ألمانيا مثل تحديد عدد أفراد الجيش الألمانى ، واستقطاع مساحات كبيرة من الأراضى الألمانية مثل منطقة الرور الصناعية الهامة ، كما فرضت غرامات مالية باهظة كتعويضات تدفعها ألمانيا مقابل الخسائر الهائلة التى تسببت فيها .

كانت التعويضات العسكرية من أهم أسباب انهيار الاقتصاد الألمانى وتعرض الشعب لأشد أنواع المعاناة ، وقد تضمنت معاهدة فرساى أيضاً عدداً آخر من الشروط المقيدة لحرية ألمانيا فى كافة المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والتموية والاجتماعية .

ومن أهم المقولات التاريخية أن شروط معاهدة فرساى المجحفة هى التى أشعلت نار الحرب العالمية الثانية ، فكما شعر الشاب الوطنى المتطرف " أدولف هتلر " بالخزى والعار نتيجة للمعاهدة ، فقد كان هناك عشرات الآلاف من الشباب الألمانى يعانون من جروح نفسية عميقة بسبب الهزيمة وما تبعها من إذلال لبلادهم ، وقد عبر عدد

كبير من الألمان عن سخطهم على تلك الأوضاع بتشكيل الأحزاب اليمينية المتطرفة تعبيراً عن رغبتهم الطاغية فى رفع الظلم عن بلادهم .

الفوهرر :

كانت مدينة ميونيخ تموج بالنشاط المضطرم نتيجة لوجود العديد من الجماعات السياسية بها ، كانت هذه الجماعات تمثل شتى الاتجاهات مثل الشيوعية والاشتراكية والقومية المعتدلة والوطنية المتطرفة ، ووسط هذا البحر الهائج ظهر أحد الأحزاب اليمنية المتطرفة أسسه عدد من الشباب الرافض للأوضاع القائمة وكان على رأس المؤسسين الشاب المتطرف صاحب الوجه الصارم والشارب المميز " أدولف هتلر " .

استطاع هتلر أن يسيطر تدريجياً على مقاليد الأمور فى الحزب الجديد الذى كان يعرف باسم (حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى) والذى أصبح يعرف بعد ذلك اختصاراً باسم الحزب النازى ، وكانت شارته المميزة هى الصليب المعقوف الشهير .

تكون الحزب النازى من مجموعة من أكثر الشباب الألمانى تعصباً لبلادهم ، ولما كان هتلر هو أكثر الالمان تعصباً فى التاريخ فقد فاق الجميع وأصبح هو الزعيم الأوحد للحزب ، ولا يرجع الفضل فى ذلك إلى شدة تعصبه ولا لخطبه الوطنية الحماسية فقط ولكن يرجع أيضاً

إلى حسن تنظيمه للحزب ونجاحه فى اجتذاب عدد من أصحاب المراكز المرموقة إلى صفوفه .

ولعلنا نتسائل هنا كيف نجح هذا الصعلوك نصف المتعلم فى تنظيم حزبه بهذه الدرجة من النجاح والدقة .

وقد أدرك هتلر مبكراً مدى أهمية وخطورة استخدام أساليب الدعايا ، ولذلك كان لديه دائماً خبراء فى الدعايا وعلى رأسهم وزير إعلامه "جوبلز" .

وخلال فترة قصيرة للغاية أصبح الحزب النازى من أقوى الأحزاب الألمانية وصار " هتلر " ، زعيمه الأوحد أى (الفوهرر" ، وهو اللقب الذى عرف به طيلة حياته ، وكانت هناك صراعات دامية بين ميلشيات الحزب النازى وميلشيات الأحزاب الأخرى وبصفة خاصة الحزب الشيوعى ، وكان هتلر شديد المقت للشيوعيين ، وقد ترجمت هذه الكراهية إلى انتقام مروع شنته الأجهزة المكونة لنظام " هتلر " ، عقب نجاحه فى الوصول إلى قمة السلطة ، حيث تم إعدام واعتقال ألاف الشيوعيين ،وبالطبع فقد كان هذا هو مصير كافة المعارضين للحكم النازى .

وعقب ازدياد قوة الحزب وكثرة عدد مؤيديه فكر هتلر فى القيام بانقلاب عسكرى وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ ولكن المحاولة فشلت وتم إلقاء القبض على هتلر وعدد من زعماء الانقلاب ، وحكم على هتلر بالسجن خمس سنوات لم يقض منها سوى ثلاثة عشر شهراً ألف فيها كتابه الشهير " كفاحى " .

الصعود إلى الهاوية :

لم يكن الحزب النازى من أحزاب المقدمة رغم تعاطف عدد كبير من أبناء الشعب معه وقد أحسن هتلر استغلال فرصة الكساد العالمى الكبير للتشهير بخصومه اليهود الذين يدعمون الرأسمالية والشيوعيين والديمقراطين الاشتراكيين ، وكانت الأزمة الاقتصادية قد ألحقت بالاقتصاد الألمانى أضراراً بالغة وخاصة فى ظل العقوبات المفروضة على ألمانيا منذ الحرب العالمية الأولى ، وكانت هذه فرصته الكبرى فى اكتساب المزيد من المؤيدين والأنصار المتحمسين للمبادئ النازية المتطرفة .

فى يناير عام ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشاراً لألمانيا ، ومنذ هذا التاريخ لم يعد هناك سوى حاكم واحد لألمانيا وإرادة واحدة هى إرادة " هتلر " ، الذى فرض ديكتاتورية صارمة فراح يدبر المؤمرات للإطاحة بخصومه تباعاً ، فأطاح باليهود والشيوعيين وفتح المعتقلات على مصراعيها لاستقبال الذين كتبت لهم النجاة من التصفية الجسدية ، كما زجّ بمعارضيه بمختلف اتجاهاتهم فى معسكرات الاعتقال .

وبدأ هتلر فى إعداد الدولة للحرب .. فعمد إلى زيادة عدد الجيش ليفوق بعشرات المرات مانصّت عليه معاهدة فرساى ، كما أمر ببناء الغواصات والسفن الحربية ، وتشغيل مصانع الأسلحة والذخائر بصورة سرية ، ورصد الأموال الطائلة للأبحاث العسكرية ، وإلى

جانب ذلك اهتم بالاقتصاد الألمانى ونجح فى القضاء على البطالة واستطاع أن يرفع مستوى المعيشة لمواطنيه .

وبدأت خطواته العملية نحو رد الاعتبار لألمانيا والتى أدت فى النهاية إلى نشوب أكبر مجزرة بشرية فى التاريخ وهى الحرب العالمية الثانية .

فى عام ١٩٣٦ قام هتلر بضم منطقة الراين الغنية إلى ألمانيا ، وكانت قد استقطعت بموجب شروط معاهدة فرساى ، وكانت الدول الأوربية غارقة فى مشاكلها السياسية والاقتصادية فلم تحرك ساكناً وتغاضت عما فعله " هتلر " لعله يتوقف عند هذا الحد !!

فى عام ١٩٣٨ قام بضم النمسا إلى ألمانيا وكان دائماً ينادى بأنهما دولة واحدة منذ فجر التاريخ ، وقد حدث ذلك بصورة سلمية ، ورغم القلق الذى بدأ يساور الدول الأوربية إلا أن الجميع آثروا الصمت .. وبعد عدة أشهر قام هتلر بضم منطقة السوديت التابعة لتشيكوسلوفاكيا إلى ألمانيا ، وبعدها بشهور استولى على باقى البلاد مهدداً الدول الغربية بإعلان الحرب إذا ما تدخلت إحداها ، ولم تكن هناك أى دولة من دول أوربا الغربية مستعدة لخوض غمار الحرب ..

وهكذا أسفر هتلر عن وجهه الحقيقى وصار الحلفاء الغربيون يترقبون الخطوة التالية ، فقد أصبحوا على يقين من أن هتلر لن يتوقف مالم يوقفه أحد !!

كان الجميع يترقبـون قيام هتلر بغزو بولندا بين لحظة وأخرى ، وبعد أن عقد مـيثاق عدم اعتداء مع " سـتـالين " ، قامت قواته بغزو بولندا وبعدها بأيام هاجم السوفـيت شرق بولندا وكان من الواضح أن الزعيمان " هتلر " و" ستالين " قد اتفـقا على تقسيم بولندا فيما بينهما .

وهكذا بدأت الحـرب العالميـة الثانيـة فى الأول من سبـتمـبر عـام ١٩٣٩ حيث أعلنت بـريطانيا وفرنسـا الحرب على ألمانيـا ، ولكن بعد فوات الأوان ، فـقد انطلقت الجيـوش الألمانية القوية لتـحتل المزيد من الدول الأوربية فاجتاحت الدنمرك والنـرويج فى سنة ١٩٤٠ وتبعتها باحتلال هولندا وبلچيكا ولوكسمبرج ، وكان أهم انتصارات هتلر فى هذا العام غزوه لفـرنسا واحتلالها فـى يونية من عام ١٩٤٠ ، وبدأت الغـارات الألمانية الوحـشيـة على بريطانيـا التى كانت فى مـوقف لا تحسد عليه خاصة بعد انهيار فرنسا .

وتواصلت الانتصارات الألمانية حيث استولت الجيوش النازية على اليـونان ويوغوسـلافـيا ، وأخـذت أبواق النازية تعلن على العـالم أن الجيوش الألمانية لا تقهر وأن عـصر السيطرة الألمانية قد بدأ ، وكانت هذه الانتصـارات السـاحقـة من أهـم العوامـل التى أدت إلى سـقوط هتلر ..

لم يكن هتلر عـسكرياً لامـعاً فى يوم من الأيام وقـد تحقـقت هذه الانتصارات بفضل عدد من القادة الألمان البارعين .

وكان قرار هتلر بغزو الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٤١ هو بداية النهاية للرايخ الألمانى ، لقد دهش الجميع عندما علموا بإقدام " هتلر " ، على نقض اتفاقه مع " ستالين " ، وقيام قواته بغزو الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك خطأ استراتيجياً هائلاً فقد راحت القوات النازية تحارب على الجبهة الغربية والجبهة الشرقية فى وقت واحد بالإضافة إلى ضرورة الحفاظ على العديد من الدول التى استولت عليها ألمانيا ، وكذلك خوض ألمانيا الحرب فى شمال أفريقيا ، وفى نهاية عام ١٩٤١ أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا عقب الهجوم المفاجئ الذى قامت به الطائرات اليابانية حليفة ألمانيا – على الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور . وفى الاتحاد السوفيتى وعلى مشارف موسكو أقبل فصل الشتاء الرهيب مبكراً ليفعل بالجنود الألمان ما عجزت عنه عشرات الجيوش .. وبدأت القوات السوفيتية تقاتل بشراسة بعد أن ضعفت قوة الألمان وغرقت أسلحتهم فى الثلوج والأوحال ، ولحقت بالألمان فى النهاية هزيمة كبرى نظراً لعناد " هتلر " وإصراره الجنونى على الثبات حتى النهاية رغم إلحاح القادة الألمان فى السماح لهم بالانسحاب المنظم ..

وفى نفس العام ١٩٤٢ – تعرضت القوات الألمانية فى شمال أفريقيا لهزيمة ساحقة نتيجة لنقص العتاد والمؤن ، وبدأ الميزان يميل لصالح قوات الحلفاء وبدأت الشعوب الأوربية تتحرر تدريجياً من سيطرة الألمان ، وأخذت قوات الحلفاء تتقدم من كل ناحية لتحيط

بالمانيا ، ورغم ذلك ورغم الهجمات الجوية الضارية التى كانت تتعرض لها برلين كل ساعة إلا أن " هتلر " ، كان واثقاً من الانتصار !!

ولما أصبحت قوات الحلفاء على بعد خطوات من برلين لم يجد هتلر بداً من الانتحار ليريح العالم من جنونه وطغيانه .



أنور خوجا

أكثر الشيوعيين تشددا :

من أعجب الشخصيات التى حيرت العالم شخصية رئيس ألبانيا الراحل" أنور خوجا " الذى تميز بغرابة أطواره وسلوكه العجيب ، لقد أغلق هذا الرجل بلاده تماماً فى وجه جميع الدول الخارجية كما منع أبناء شعبه من مغادرة البلاد لأى سبب كان ، وأصبحت ألبانيا فى عهده تعد سجناً كبيراً مغلقاً على من فيه ولا يعلم أحد شيئاً عما يدور بداخله !!

ولعل أكثر مايلفت الأنظار ويحير العقول فى " أنور خوجا " هو أنه ناصب كبار زعماء الشيوعية فى العالم العداء وادعى أنهم حادوا عن النهج الشيوعى الصحيح وخرجوا عن تعاليم ماركس ونظريات لينين ، فقطع علاقاته مع الاتحاد السوفيتى أولاً ثم مع الصين إحدى الدول الشيوعية الكبرى بعد ذلك ، وأعلن أنه باق إلى الأبد على شيوعيته السليمة !!

ويعد " أنورخوجا " هو أكثر الحكام الشيوعيين تشدداً وتنفيذاً للشيوعية بحرفيتها ، وقد رفض تماماً كل محاولات الإصلاح التى

قام بهـا الشيـوعيون فى أى مكان واعـتبـرها خيانة للشـيوعـية ، وهكذا أصبح يقف وحده معزولاً عن الشيوعيين ، أما المعسكر الغربى فقد سبق وقطع خـوجة علاقاته به منذ أن أعلن استقـلال دولة ألبانيا فى سنة ١٩٤٤ ، وهكذا أصبـحت ألبانيا حالة فـريدة بين دول العالم كله ، لاتربطها أى علاقات بدول العالم سواء الشرقية أو الغربية ، كل ذلك بفضل رئيـسهـا المتشدد الذى حـار العالم فى فـهمه لأكـثر من أربعين عاماً .

ونلاحظ أن المعلومات المتاحة عن " أنور خوجا " قليلة للغاية نظراً لعـدم مشـاركـته فى صنع الأحـداث خـلال سنوات حكمـه الطويلة وانعزاله تماماً عن كل المتغيرات الـدولية وإحجامه عن تبادل الزيارات مع زعماء العالم إلا فى حدود ضيقة للغاية .

الزعيم الأوحد :

فى عام ١٩٠٨ ولد " أنور خوجا " بألبانيا وكانت فى ذلك الوقت جـزءًا من الدولة العثـمانيـة ، تلقى تعليـمه فـى ألبانيـا ثم فرنسـا ، واجتذبته الـشيوعية بقوة فاصـبح شيوعياً مخلصـاً منذ بداية شبابه وأعلن التزامه بالشيوعية وأصبح ملحداً ينكر جميع الأديان .

فى بداية الثلاثينيات عاد إلى ألبانيـا واشتغل بتدريس العلوم لعدة سنوات مارس خـلالها النشـاط السياسى كـشيوعـى نشط ، وكانت المعارضة على أشدها لنظام الملك الألبانى " أحمد زوغو " ، وفى عام ١٩٤١ تمكن خـوجا مع بعض رفـاقه من تأسـيس الحزب الشـيوعى الألبانى .

وقـد تعرضت دول البلقـان بما فيـهـا ألبانيـا للغزو النازى حـيث احتلتـها القـوات الإيطالية والألمانيـة ، وتزعم خوجا حـركة المقـاومة الشيوعية وصار أقوى زعماء الشيوعية فى ألبانيا .

عقب انهزام النازيين وانـسحابهم من ألبانيا قـام " أنور خوجا " بتشكيل الحكومة الألبـانية الأولى وأعلن الجمهورية فى ألبـانيا ، كما التزم بالشيوعية الحرفية التزاماً كاملاً .

فى البـداية كانت تـربطة علاقـة قـوية بالاتحاد السـوفـيتى قـبلة الشيـوعيين ونصيـرهم الأكبر كمـا أقام علاقـات مع العديد من دول الكتلة الشرقية بالإضافة إلى الصين .

ومثل باقى الحـكام الشيوعـيين فرض خـوجا نفســه على شعـبه ورفض كل أنواع المشاركة الشعبـية فى الحكم أو إضفاء أى نوع من أنواع الديمقراطية على حكمه ، كما فرض سياسات صارمة على أبناء شعبه من رقابة قـاسية على الصحف وحظر الاجتماعـات السياسية التى ينظمها الحزب الشيوعى . وبالطبع فتح السجون على مصراعيها لاستقبال معارضيه لأتفـه الأسباب كما منع جميع أنواع المـمارسات الدينية وفرض الألحاد على ألبانيا التى يدين معظم أبنائها بالإسلام .

الصدام مع الشيوعيين :

كشـيوعى متـشدد أعلن " خـوجا " رفضـه وسخطه على جـميع أشكال الرأسمـالية الغربية وانقطعت صلة بلاده بالغـرب تماماً ، وهو أمر طبيعى .

أما غير الطبيعى فهو صدامه مع الشيوعيين تباعاً ، ففى البداية كانت علاقته بالاتحاد السوڤيتى على خير مايرام ، ولكن فى عهد " خروتشوف " وعقب إجراء بعض الإصلاحات الضرورية لإنقاذ الأوضاع الاقتصادية من التردى أعلن " خوجا " رفضه لتشويه الشيوعية ، واتهم الشيوعيين فى الاتحاد السوڤيتى وفى دول الكتلة الشرقية أيضاً بالعمالة والخيانة !!

واتجه إلى الصين التى كان زعيمها " ماوتسى تونج " حريصاً على التزام النهج الشيوعى ، وكان أيضاً على خلاف مع الاتحاد السوڤيتى ، وأصبح " أنور خوجا " يعتمد إعتماداً كلياً على المساعدات التى تقدمها له الصين بعد أن قطع السوڤيت المساعدات عنه ، ولكن التطبيق الشيوعى الحرفى أثبت فشله فى الصين أيضاً ، واضطر خلفاء " ماوتسى تونج " لإجراء بعض الإصلاحات مما أغضب " أنور خوجا " وجعله يتهم الصينيين بالعمالة والخيانة أيضاً !!

وهكذا أصبحت ألبانيا تلك الدولة الصغيرة للغاية تقف وحدها تماماً ، ورغم ذلك فقد تشدد زعيمها فى تطبيق سياسة الانغلاق القاسية والتى عرفت بسياسة " ألبانيا المنيعة " والتى تقوم أساساً على اعتماد البلاد على نفسها فى كل شىء ، وحتى وفاة خوجا لم تكن ألبانيا مدينة لأيّة دولة بدولار واحد .

وفى عام ١٩٨٥ أصيب " أنور خوجا " بجلطة فى المخ وتوفى فى شهر أبريل من نفس العام عن عمر يناهز السابعة والسبعين .

★ ★ ★

بوكاسا

الامبراطور المتوحش :

لم نـجـد وصفاً ينطبق علـى هذا الرجل العجيب الـذى أثار دهشة العالم زمـناً خيراً من هذا الـوصف وهو " الامبراطور المـتوحش " . فهل يمكن لمن يعشق أكل لحوم البشـر ويتفنن فى إعدادها وتجهيزها إلا أن يطلق عيه المتوحش ؟!

ولم يكتف هذا الرجل العجيب بأكل لحوم البشر بل إنه كان يجاهر بهوايتـه تلك ويعلن علي الملأ عشقه لهـا ومن أقواله " المأثورة " فى هذا الصدد :

(لاشىء يدل على أن الإنسان منافق كـذّاب إلا أنه يتعفف عن أكل لحم الإنسان بينما القنابل تحصده بمئات الألوف وتلقى بهذا البروتين الغنى للوحوش والديدان !!)

ما أعجب الفلسفة إذا جرت على لسان جاهل أحمق !!

ورغم بشاعة " بوكاسا " ووحشيته البالغة فى معاملة أبناء شعبه المساكين ومذابحه المروعة ومـمارساته الوحشية والتى سنذكر جانبا منها إلا أنه كان يعد مادة فكاهية رائعة أضحكت العالم – ومازالت – لفترة من الزمن ، بل إن سلوكه العجيب خـلال فترة حكمه يعتبر من

أجمل الطرائف التى أضحكت العالم خلال القرن العشرين ، مثله فى ذلك أيضاً الرئيس الأوغندى السابق " عيدى أمين " .. أما " بوساكا " الجاهل الأحمق فلم يكتف بما يعانيه أبناء شعبه المسكين من تعاسة وفقر وهوان بل زاده فقراً على فقر وهواناً على هوان .. لقد وجد الرجل أن قارة أفريقيا الشاسعة التى تضم دولاً متعددة لايوجد بينها امبراطورية واحدة ، فقرر هو أن تصبح دولتة الصغيرة الفقيرة الضعيفة هى أول امبراطورية فى القارة الأفريقية وأن يصبح هو " الامبراطور بوكاسا الأول " مؤسس الامبراطورية العظمى .. ويالها من نكتة أضحكت العالم حتى البكاء .

ويكاد سلوك " بوكاسا " يتطابق مع رئيس أوغندا السابق الغريب الأطوار " عيدى أمين " ، كان " عيدى أمين " عملاقاً فارع الجسم ،كما أنه مارس رياضة الملاكمة فترة من الزمن ، وعندما وقع النزاع بين دولته " أوغندا " وجارتها " تنزانيا " دعا " عيدى أمين " العملاق رئيس دولة تنزاينا " جوليوس نيريرى " الضئيل الجسم إلى ساحة الملاكمة لحسم النزاع بين الدولتين !!

فهل رأي أحد أو سمع عن نزاع بين دولتين فى القرن العشرين يتم حله عن طريق حلبة الملاكمة !!

إن الحديث عن عجائب وغرائب هذا الامبراطور الفريد من نوعه فى التاريخ حديث طويل ومشوق حقاً وإن كان لا يخلو من الحزن على ما آل إليه مصير الألوف من شعبه المسكين الذى عانى تحت وطأة

حكمه أكثر بكثير مما عاناه من المستعمرين ، وهذا قدر عدد كبير من الدول الأفريقية التعيسة أن يتحكم فيهم الجهلة والمجانين والمهرجون !!

ولا يظن القارئ لحظة واحدة أن الأمر مجرد خيالات وحكايات طريفة مسلية ، بل إن ما نسرده خلال السطور التالية هو واقع وحقيقة لا مراء فيها ، وقد قامت العديد من الصحف ووسائل الإعلام العالمية بالحديث عن هذا الامبراطور الغريب الأطوار وظلت أخباره تشغل الأذهان عدة سنوات ..

القائد الجاهل :

من سوء حظ عدد كبير من الدول الأفريقية ودول العالم الثالث أن ابتلت بحكام جهلة عديمى الحظ من فن القيادة وحكمة الزعماء بالإضافة إلى جهلهم المطبق وعدم إلمامهم بأدنى قدر من العلوم العسكرية أو الإدارية ، ولذلك فإنهم اتخذوا من الديكتاتورية درعاً يحتمون خلفه ويسترون ضعفهم وجهلهم ، فكلما ازداد جهل الإنسان كلما ضاق بمعارضيه ورفض أى صورة من صور النقد ..

ولد (چان بيدل بوكاسا) فى عام غير معلوم على وجه الدقة فى البلاد التى تعرف حالياً باسم أفريقيا الوسطى ، وهى دولة صغيرة تزيد مساحتها قليلاً على نصف مليون كيلو متر مربع ، وهى دولة داخلية تقع بالفعل فى وسط القارة الأفريقية لا تملك أية سواحل بحرية ، عانت من الاستعمار الفرنسى منذ عام ١٨٩٤ ، وفى

منتصف الخمسينات وبعد انتشار الوعى بين دول العالم الثالث وتصاعد المد الوطنى بها بدأت الدول الاستعمارية تتخلى عن مستعمراتها وتمنحها الاستقلال ، فى عام ١٩٥٨ منحت فرنسا دولة وسط أفريقيا حكماً ذاتياً كمقدمة لمنحها الاستقلال ، وفى أغسطس من عام ١٩٦٠ ، حصلت وسط أفريقيا على الاستقلال ، فى ظل الحكم الذاتى وحتى سنة ١٩٥٩ تولى رئاسة الحكومة الوطنية "بارتلمى بوجاندا " ، ولكن الرجل لم يشهد تحقق حلمه فى الاستقلال التام لبلاده حيث توفى فى عام ١٩٥٩ ، وخلفه " ديفيد داكو " ، الذى لعب دوراً هاماً فى تاريخ بلاده ..

فى هذه الأثناء كان " جان بيدل بوكاسا " ، يشغل منصب رئيس أركان الجيش فى البلاد ، وكان برتبة " كولونيل " أى " عقيد " ، ولم يحصل " بوكاسا " ، على قدر يذكر من التعليم والتحق بالجيش منذ شبابه المبكر حيث أخذ يترقى من رتبة إلى أخرى لضالة عدد أفراد الجيش ولضعف خبرة الآخرين ، فلم يكن " بوكاسا " ، ذا قدرات خاصة أو جهود متميزة حتى يشغل هذا المنصب المرموق ، ولكنه كان على قدر ضئيل من الدراسة العسكرية بينما الآخرون لا يعلمون شيئاً على الإطلاق!!

عمد " ديفيد داكو " ، بعد أن تولى الرئاسة فى البلاد إلى تطبيق الحكم الشمولى وقام بتشكيل حزب واحد فى البلاد ورفض مبدأ التعددية الحزبية وبدأ فى ممارسة الأساليب القمعية معلناً عن نيته

فى أن يصبح ديكتاتوراً للبلاد ، ولكنه لم يهنأ بمنصبه طويلاً حيث كان رئيس الأركان " بوكاسا " ، يتطلع لشغل منصب رئيس البلاد فقام بانقلاب عسكرى فى عام ١٩٦٥ ، أطاح بالرئيس "داكو" واستأثر بالسلطة لنفسه ، وبدأت ملهاة حكم " بوكاسا " ، واتخذت من بلاد وسط أفريقيا مسرحاً كبيراً لها ..

الملهاة الساخرة:

بدأت فصول هذه الملهاة الساخرة عندما تمكن الضابط " چان بيدل بوكاسا " من الإطاحة بحكم الرئيس " ديفيد داكو " ، سنة ١٩٦٥ وعقب ذلك أعلن حل الحزب الوحيد فى البلاد ، وذلك الحزب الذى شكله داكو بنفسه وهكذا أصبحت البلاد بلا أى منظمات سياسية ، وكانت هذه مجرد مقدمة لما فعله " بوكاسا " فيما بعد .

ولكن قبل أن نستطرد فى استعراض طرائف " بوكاسا " وحكاياته العجيبة لابد أن نلقى الضوء على نشأته وجذوره ، ولد "بوكاسا " فى إحدى القبائل الوثنية ، وعلى الرغم من أن والديه أعلنا اعتناقهما للمسيحية إلا أن سلوكهما ظل كما هو لم يتغير ، فيقال إن والده تزوج من عشر نساء على عادة رجال هذه القبيلة فى تعدد الزوجات بلا حد أقصى ، كما أن قبيلته كغيرها من القبائل كانت تؤمن بالسحر وتمارس الطقوس البدائية مثل تقديم القرابين البشرية للالهة ، أما إخوة بوكاسا فقد زاد عددهم على خمسة وعشرين .

وهكذا أصبح هذا الجاهل المتخلف رئيساً لدولة من الدول ومسئولاً عن شعب بأسره !!

فى سنة ١٩٦٦ قام " بوكاسا " ، بتشكيل حكومة جديدة كان بالطبع هو رئيسها ولكن الأهم من ذلك أنه احتفظ لنفسه بأربع وزارات هى الخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، وهى كما نرى أهم الوزارات فى أى دولة من الدول ، أما باقى الوزارات فقد وضع فيها مجموعة من زملائه العسكريين الذين يدينون له بالولاء وكان بيكاسو خيرهم وأكثرهم خبرة!!

ومنذ هذا التاريخ ظل " بوكاسا " يمارس حكماً ديكتاتورياً ظالماً فى بلاده ، لم يكن هناك أى شكل من أشكال الديمقراطية ، وقد حرم الشعب المسكين من أهم الخدمات الأساسية ولا سيما التعليم ، ولكن تصرفات الرئيس لم تستلفت الأنظار حيث لم تختلف عما يفعله عشرات غيره من الطغاة .

كانت أول المؤشرات على غرور الرجل وجهله عندما أعلن نفسه رئيساً للبلاد مدى الحياة فى سنة ١٩٧٢ ، هكذا منح نفسه حق البقاء فى مقعد الرئاسة حتى النهاية ، وبعد ذلك بعامين رفع رتبته العسكرية من كولونيل إلى " ماريشال " دفعة واحدة ، وبالطبع كان بإمكانه أن يفعل ما يشاء فلا أحد يحاسبه بعد أن أحكم الحصار حول أبناء شعبه التعساء .

امبراطورية وسط أفريقيا :

دولة وسط أفريقيا كما ذكرنا تعد من أفقر دول العالم وأكثرها تخلفاً ، فهى دولة صغيرة محدودة الموارد ، فى سنة ١٩٧٦ كان متوسط دخل الفرد فيها سنوياً لا يتعدى خمسين دولاراً ، واعتبرت بذلك من أفقر دول العالم وليت حاكمها " بوكاسا " ، كان يدرك هذه الحقائق المؤلمة ويحاول تحسين مستوى المعيشة لشعبه المسكين وينتشل أفراده من وهدة الجهل والتخلف والمرض ويمهد له سبيل الحياة الكريمة ..

ولكن ما فعله بوكاسا كان مفاجأة للعالم أجمع ، فقد أدهش بوكاسا العالم فى الرابع من ديسمبر عام ١٩٧٦ ، عندما أعلن إلغاء الجمهورية فى البلاد وأعلن نفسه امبراطوراً على امبراطورية وسط أفريقيا تحت اسم الامبراطور " چان بيدل بوكاسا الأول " ، أما زوجته " كاترين " فقد أعلنها امبراطورة أيضاً !!

أقيمت فى البلاد احتفالات أسطورية تتويج الامبراطور وزوجته وسط حشد من رؤساء الدول والحكومات الذين لبوا دعوة "بوكاسا" ، وخلال الحفل شاهد الجميع كرسى العرش الذى كلف الامبراطور عدداً من كبار فنانى العالم فى إعداده وتجهيزه ليكون تحفة نادرة .

أما التاج الذى وضعه الامبراطور على رأسه فكانت تتوسطه إحدى الماسات النادرة فى العالم وتم صنعه من الماس والياقوت

والزمرد ، وكان هو أيضاً تحفة ثمينة ..

وقد تكلفت هذه الاحتفالات الأسطورية الملايين وتركت خزائن البلاد خاوية على عروشها ، ولولا ما كان يحصل عليه " بوكاسا " ، من معونات اقتصادية من فرنسا والولايات المتحدة لانهارت دولته تماماً .. كان " بوكاسا " ، مسطيراً على كل نواحى الحياة فى بلاده التعيسة لدرجة تحكمه فى مرفق الكهرباء ليرغم المواطنين على النوم مبكراً !!

أما الإذاعة فلم يكن لها عمل سوى إذاعة أخباره وحركاته وكلماته .

وخلال عهده تدهورت أحوال البلاد بصورة كبيرة فانتكست الزراعة وتدهور الاقتصاد ولم تشهد الصناعة أى نوع من التقدم أو التطوير .

نوادر بوكاسا:

بالإضافة إلى النكتة الكبرى وهى تحويل البلاد إلى امبراطورية ، فإن سيرة بوكاسا لا تخلو من الطرائف الشيقة ، ومن ذلك أنه حاول إقامة علاقات دبلوماسية مع ليبيا فاشترط عليه رئيسها أن يعلن إسلامه حتى يمنحه مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرلينى ، فأعلن " بوكاسا " إسلامه وأطلق على نفسه اسم " صلاح الدين أحمد مجاهد " ، وكان ينوى خداع حاكم ليبيا ، فلم يقم بتنفيذ الاتفاق

بنشـــر الإســـلام فى بلاده وهنا انقطعت المنحـــة وعلى الفـــور أعلن " بوكاســـا " ، ارتداده عن الإسلام والعودة إلى المســـيحية وإلى اســـمه السابق " چان بيدل بوكاسا " !!

أصدر " بوكـاسا " قراراً عـجيبـاً بمنع الوزارء وأفراد شعـبه من مناداته بـلقب الأب !! وبدلاً من ذلك عليـــهم أن ينادوه " بالســـيـد الرئيس مدى الحياة " أو " السيد الفيلد مارشال " !!

أما بعد أن صـــار امبراطوراً فكان على الرعيـــة أن ينادوه " بالسيد الامبراطور المقدس " .

ويقال إن " بـوكاسا " مـثل والده تزوج بعـشر نساء وكـانت له ضعفهن من العشيقات ، وقد أنـجب حوالى ٥٤ ولداً .

حكم " بوكاسا " بلاده حكماً عجيـباً غابت فيه كل أشكال وصور الحكم المعاصر ، فـلا توجد هيئة استـشارية ولا برلمان حتى الوزراء كانوا مجرد صور فقط .

مذبحة الأطفال :

تغاضت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا عن الحكم الديكتاتورى لبوكاسا باعتباره أداة طيعة فى أيديهما لتنفيذ سياساتهما فى أفريقيا ، فقد احتفظت فرنسا بعدة قواعد بالبلاد بينما كانت الولايات المتحدة فى صراع شديد مع الاتحاد السوڤيتى السابق وتحاول أن تسد عليه المنافذ للتسلل إلى دول جديدة .

ولكن جنون " بوكاسا " وطغيانه فاقا كل الحدود ، وكانت أفظع ممارسات " بوكاسا " ، ما حدث فى ابريل عام ١٩٧٦ ..

كان " بوكاسا " قد احتكر استيراد نوع معين من القماش وفرض زياً معيناً على تلاميذ المدارس الابتدائية يتم صنعه من القماش ، بالإضافة إلى ذلك فقد فرض سعراً عالياً لشراء هذا الزى وكان على الأهالى المساكين الشراء وإلا فمصيرهم معروف .. عم التذمر والغضب أنحاء البلاد وتجرأ الأطفال وقاموا بمظاهرة صغيرة تهتف بسقوط الطاغية الذى ما أن سمع بما حدث حتى استشاط غضباً وهرع على رأس قوة من رجاله حاصرت الأطفال المساكين وحبستهم فى قبو إحدى المدارس ، ووقف " بوكاسا " على رأس جنوده وانتقى عدداً من زعماء المظاهرة وقام بذبحهم بنفسه فى واحدة من أبشع صور الظلم والطغيان التى مارسها حاكم ضد أبناء شعبه .

وفى ذلك اليوم تم ذبح ٣٢ تلميذاً أمام زملائهم ، وعندما وصل الخبر إلى دول العالم من خلال وكالات الأنباء اندلعت موجة من السخط والاستنكار فى جميع أنحاء العالم تندد بما فعله " بوكاسا " وعلى الفور قررت فرنسا والولايات المتحدة قطع المعونات الاقتصادية عنه ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكمه البغيض ، فخلال رحلته إلى ليبيا لطلب المعونة وقع ضده انقلاب عسكرى أطاح بحكمه فى سبتمبر من عام ١٩٧٩ ، وقاد هذا الانقلاب " ديفيد داكو " الرئيس السابق والذى اضطر " بوكاسا " ، لتعينه مستشاراً ليخفف من غضب

الجمـاهير ، وكان قد تعـرض لعدد من الأنقلابات الفـاشلة فى أعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ١٩٧٦ ، وكـان الجـيش فى صـــفـه دائمـاً بفضل المخـصصات الكبـيرة التى يمنحهـا لأفراده ، أما بعـد المذبحة الشـهيرة فإن الجميع أعلنوا مقتهم له ..

ومـما يرويه مســاعدوه أنه كان يعشق أكل لحوم البشـر وخاصة الأطفال ، وأنه كان ينتـقى بعض الأطفال الذين يصلحون (للأكل) ، ويأمر بذبحهم ، ويقال إنه عقب الإطاحة به تم العثور فى ثلاجته على جثة طفل صغير متبّلة ومعدةً للأكل !!

ومن أقواله فى هذا الصدد :

(إن لحم الإنسان لا يحتاج إلى ملح .. فهـو شديد الملوحة وحينما تجربونه ستعرفون كم هو لذيذ ورائع !!) .

وقد مـات " بوكاسا " فى منفـاه عام ١٩٩٦ ، بعـد أن ترك خلفه سجلاً مثقلاً بالخزى والعار .

★ ★ ★

رودلف هيس

أغلى سجين فى العالم :

أغلى سجين فى العالم ، وأشهر سجين فى العالم ، وأعجب سجين فى العالم ، وغيرها من الألقاب المثيرة التى أطلقت على شخص واحد أثار حيرة العالم ومازال حتى اليوم ، إنه الزعيم النازى رودلف هيس الذى أذهل العالم حينما أقدم على مغامرته المثيرة وقاد طائرته بنفسه ليهبط بها فى اسكتلندا أحد أجزاء بريطانيا العدو اللدود لبلاده ألمانيا ، وكان ذلك خلال أصعب فترات الحرب العالمية الثانية حيث كانت الطائرات الألمانية تصب آلاف الأطنان من القنابل فوق بريطانيا كل يوم .

لم يصدق البريطانيون أنفسهم ولم يصدق العالم وهم يسمعون هذا النبأ الغريب ، ويظل هيس أسيراً فى أيدى الحلفاء عدة سنوات طويلة ، لم تحرسه دولة واحدة ولكن أربع دول كانت تتناوب على حراسته ، ليس ذلك فقط ، بل كان هذا السجين الوحيد فى هذه القلعة الحصينة والتى أعدت كسجن حصين له لايستطيع منه فكاكاً .

حير العالم بصمته المتواصل وهدوئه العجيب وولائه للنازية برغم

انهيارها واحترامه لزعيمه هتلر رغم كل ماجلبه عليه وعلى بلاده من دمار وخراب ، والأغرب من ذلك أن " هتلر " اتهمه علناً بالجنون والسفه وتنصل من كل مسئولية تجاهه ، وأكد مراراً أنه لم يكن يعرف شيئاً عن مبادرة هيس ، ورغم كل ذلك فلم يتزحزح الرجل عن إيمانه بزعيمه الذى يكن له كل حب وتقدير ويعتبره رمزاً لقوة ألمانيا وباعثاً لمجدها ومعقد آمالها .

ومن المؤكد أن هناك الكثير والكثير الذى لم يرو عن هذا اللغز العجيب الذى فرضه على العالم هذا الزعيم النازى الغريب الأطوار ، كما أن هناك أسراراً كثيرة مازالت فى طى الخفاء وتتعلق بالحرب العالمية الثانية وبصفة خاصة الاتفاقات السرية والصفقات الخفية التى لم يعرف العالم عنها شيئاً ، وفى كلمة لأحد كبار المؤرخين العسكريين قال أن الحرب العالمية الثانية ستظل هى أهم أحداث العالم لمدة ثلاثمائة سنة قادمة ، وربما كان هذا القول مبالغ فيه ولكن المؤكد أن هذا الحدث الضخم سيظل من أهم مصادر الإثارة والجذب دائماً .

الرجل الثانى :

نعود إلى " رودلف هيس " ذلك السجين الذى حير العالم زمناً ، ونقول إنه ولد فى بلاد الشرق وبالتحديد فى مصر حيث كان والده يعمل بالتجارة ، وقد ولد فى سنة ١٨٩٤ فى مدينة الإسكندرية التى كانت مركزاً هاماً للتجارة وعاشت بها جاليات أجنبية كثيرة ، ثم رحلت الأسرة إلى ألمانيا مرة أخرى حيث تلقى الصغير علومه .

شارك " رودلف هيس " فى معارك الحرب العالمية الأولى وكانت نتائج الحرب بمثابة صدمة له ، وكما كانت معاهدة فرساى والشروط المجحفة التى فرضت على ألمانيا من أهم الأسباب التى أدت إلى ظهور الطاغية المجنون " هتلر " ، فقد أدت هذه العوامل أيضاً إلى تطرف هذا الشاب الهادئ وأشعلت فى نفسه الثورة وجعلته ينادى بالثأر من الذين أذلوا ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب .

كان أولئك الشباب المتطرفون الذين يشعرون بالجرح والمهانة هم نواة الحزب النازى ، وكما أوضحنا فى معرض حديثنا عن " هتلر " فقد نجح هذا الزعيم فى السيطرة على عقول أعضاء الحزب وفرض عليهم نمط سلوكه المتطرف ، وكانت الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد من أهم العوامل التى ساعدت على نمو الحزب النازى ليصير أكبر الأحزاب الألمانية وأكثرها شعبية .

كان أكبر أعضاء الحزب وأكثرهم ولاءً وحباً لزعيمه هتلر هو " رودلف هيس " الذى كان بدوره يثق فى " هيس " ويوكل إليه المهام الحساسة ويعتمد عليه كثيراً ، وعندما قام " هتلر " بتشكيل الحكومة الألمانية فى سنة ١٩٣٣ كان " هيس " يتولى منصب رئيس الدائرة السياسية فى الحزب النازى .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان " هيس " نائباً لهتلر ومن أقرب المقربين إليه .

المغامرة العجيبة :

حققت القوات النازية انتصارات ساحقة فى كافة الميادين وقامت باحتلال عدد كبير من الدول وعلى رأس هذه الدول فرنسا إحدى الدول المناهضة لسياسة ألمانيا فى غرب أوربا .

وفى عام ١٩٤١ كانت بريطانيا تقف صامدة فى وجه الطغيان النازى وتعرضت لآلاف الغارات الجوية التى فشلت فى إخضاعها ، وكان " هتلر " ينوى غزو روسيا أى فتح جبهة أخرى للقتال ، ولكن " معركة بريطانيا " كانت تؤرقه نظراً للصمود الرائع الذى أبداه الشعب الإنجليزى ، وفى هذا الجو الملبد بغيوم الحرب والدمار قام " رودلف هيس " نائب الزعيم الألمانى " هتلر " برحلته العجيبة إلى بريطانيا ، بل إنه قاد طائرته بنفسه وهبط فى اسكتلندا ، وقد عرض " هيس " نفسه لمخاطرة هائلة بقيادته الطائرة فوق هذه المنطقة الخطرة ، وعندما هبط بسلام تمت محاصرة طائرته وإلقاء القبض عليه على الفور وتفتيش الطائرة بدقة .

فى البداية لم يصدق البريطانيون أنفسهم عندما أخبرهم الطيار انه " رودلف هيس " الزعيم النازى ونائب " هتلر " ، وأنه جاء للتفاوض من أجل إحلال السلام بين ألمانيا وبريطانيا !!

عندما تحقق البريطانيون من شخصية الرجل أدركوا انه حقاً " رودلف هيس " وأنه جاءهم يعرض السلام أخذهم العجب لعدة أسباب :

- فلماذا تتم مبادرة السلام على هذه الصورة العجيبة ؟ ولماذا لاتتم من خلال القنوات الدبلوماسية المتعارف عليها ؟

- كيف يفكر " هتلر " المتطرف المغرور بقوته فى مد يده بالسلام إلى بريطانيا رغم أنه فى أوج قوته وانتصاراته ، كما أنه يعلم جيداً مدى معاناة بريطانيا تحت وطأة الهجمات التى يشنها الطيران الألمانى الأكثر تفوقاً ؟ !

- كيف نجح رجل فى سن " رودلف هيس " - كان يبلغ من العمر فى هذا الوقت ٤٧ عاماً - فى القيام بتلك المغامرة المثيرة وقيادة طائرته وحده وسط هذه المخاطر الشديدة ؟ !

- هل يمكن أن تكون هذه إحدى الخدع التى برع فيها هتلر هو وأجهزته طوال سنوات حكمه مما جعل الجميع لايثقون فيه على الإطلاق ؟!

السجن حتى الموت :

رغم أن الحرب العالمية الثانية استمرت عدة سنوات بعد ذلك إلا أن كل شىء قد انتهى عند " رودلف هيس " وكان آخر عهده بالحرية هى تلك الليلة التى خاض فيها رحلته المثيرة مستقلاً طائرته .. فبعدها قرر البريطانيون إلقاء القبض عليه وتمت معاملته كأسير من أسرى الحرب وإن كان ذا شأن خاص حقاً !!

وعقب إذاعة بريطانيا خبر إلقاء القبض على " رودلف هيس "

أعلنت ألمانيا النازية أنه مجنون وأنه قام برحلتـه بمبادرة شخصية منه دون علم القيادة الألمانية .

وقيل بعـد ذلك إن هذه المبادرة ماكانـت لتتم بدون موافقـة الزعيم هتلر ، وإنه قـد تم الاتفـاق علـى أن يكون " هيس " هو الضـحـيـة لضمان خروج بريطانيا من الحـرب وإبعادها من التدخل فى مجريات الأمور ، وكـانت هذه هى الطريقة الوحيـدة التى تكفل توقيع اتفاقـية سلام مع بريطانيا بعد اندلاع الحرب .

وعقب هزيمة ألمانيـا واستسـلامها بدون شـروط فى عام ١٩٤٥ ، تمت إعادة " هيس " إلى ألمانيـا لتقديمه للمحاكـمة هو وزملاؤه من النازيين بتـهمـة ارتكاب جـرائم حرب ومـحـاكمـات " نورمبـرج " الشهيرة ، ولما كان " هيس " قد قـضى معظم سنوات الحرب أسيراً فى انـجلتـرا فلم يصـدر عليـه الحكم بالإعـدام مثل عـدد كـبيـر من النازيين ، وحكم عليه بالسجن المؤبد مع كثيرين .

ثم وضـع السـجناء فى قلعة " سـبانداو " الحـصيـنة فى مـدينة برلين ، وكـانت المدينـة قـد قـسمـت إلى أربعـة أجـزاء بين الحلفـاء المنتـصـرين فى الحرب هم الـولايات المتحـدة والاتحـاد السـوفيـتى وبريطانيـا وفرنسـا ، وكانت القلعـة تقع فى الجزء البـريطانى ، وتم لاتفاق عـلى أن تتولى الدول الأربعـة حراسة الـسجن .

وبعد حوالى عشرين عاماً من انتهاء الحرب تم إطلاق سراح جميع سجناء النازيـين فى سجن " سبـانداو " لأسباب صـحية عـدا سجين

واحد فقط وهو " رودلف هيس " الذى عارض الاتحاد السوفيتى فى إطلاق سراحه عدة مرات ، كما أن الدول الغربية المتحالفة لم تتفق بشأنه ، ليظل طيلة هذه السنوات هو السجين الوحيد الذى تتولى حراسته الدول الأربع الكبرى فى العالم وتتكلف عملية حراسته الملايين .

وفى السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٨٧ توفى الزعيم النازى " رودلف هيس " عن عمر يناهز الثالثة والتسعين .



شاوشيسكو

نيكولاى شاوشيسكو شخصية عاشت ملء السمع والأبصار قرابة ربع قرن من الزمان ، كان ينظر إليها نظرة احترام وتقدير ، فهو الرجل الذى جرء على أن يقول لا للمارد السوفيتى إبان مجده ، وهو الذى رفض وصاية الاتحاد السوفيتى على بلاده رومانيا التى كانت جزءًا من المعسكر الاشتراكى قبيل انهيار الشيوعية .. وهو أيضاً أحد الوسطاء الدوليين الموثوق بهم والذى تصدى لحل العديد من المشاكل ذات الحساسية الخاصة .

ولكنه فى النهاية هو الحاكم الذى أعدمه شعبه بعد أن ثار عليه ثورة عارمة وحكم عليه بالإعدام جزاء خيانته للشعب وإزهاقه عشرات الآلاف من الأرواح دون وجه حق .

وعقب وفاته عرف العالم الجانب الآخر الخفى لهذا البطل ، وأدرك العالم مدى الظلم الذى تعرض له أفراد الشعب الرومانى المسكين تحت وطأة الحكم الديكتاتورى لشاوشيسكو .

البداية :

كانت البداية براقة وزاهية أمام العالم الذى كان منقسماً فى هذه

الفتـرة إلى معـسكرين أحدهمـا المعسكر الـغربى بقيـادة الولايات المتحدة الأمريكية والآخر المعسكر الشرقى بقيادة الاتحاد السوفيتى ، وكانـت الحرب الباردة بينهما فى أوجـها ، وفى سنة ١٩٦٥ ظهر فى الأفق نـجم " نيكولاى شاوشيسكو " بشعره الأشقر المجعد ووجهه الدقيق الملامح ، ومنذ اليـوم الأول لتوليه السلطة أعلن اتخاذه مـوقفاً استقلالياً عن الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى بصفة عامة سواء من ناحية السـياسات الخارجية أو التطبـيق الاشتراكى فى الداخل .. وقد دعم موقفه وجود الولايات المتحدة الأمريكية وتأييدها لسياساته المستقلة ..

ومن أبرز المواقف التى اتخذها شـاوشيسكو رفضـه الاشتراك مع قـوات حلف وارسو فى غـزو تشـيكوسلوفـاكـيا عـام ١٩٦٨ لقـمع الانتفاضة الوطنيـة بها ، ورفضه تأييد الغزو السوفيـتى لأفغانستان فى عام ١٩٧٩ ، وكـذلك رفضه نشر الصـواريخ النووية السوفيتـية من طراز (اس . اس) على الأراضى الرومانية .

وقد تميزت العلاقات الخارجية لتشاوشيسكو بالتوازن والحياد إلى حد بعيـد ، حيث نـجح - رغم ذلك - فى الاحتفـاظ بروابط قوية مع دول الكتلة الشـرقـية والاتحـاد السـوفيـتى ، كـما ارتـبط بعلاقـات الصداقة مع دول العالم الثالث - ومنهـا مصر - بالإضافة إلى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .

أما عن الأحوال الاقتصادية والظروف المعـيشية فلم يعرف العالم

حقيقة الأوضاع القائمة فى جمهورية رومانيا إلا بعد اندلاع الثورة بها .. ففى رومانيا وباقى الدول الشيوعية دأبت وسائل الإعلام الموجه إلى تقديم الصور البراقة للأوضاع الاقتصادية والتطور الصناعى والزراعى الكبير بها ، بالإضافة إلى تقديم صورة رائعة للأسرة فى هذه البلاد ، ولم يعرف العالم الحقيقة إلا بعد الانهيار الكبير للشيوعية حيث كان هناك تعتيم إعلامى بالغ فى كل هذه الأقطار .

النهاية :

جاءت النهاية سريعة جداً حيث تتابعت الأحداث بصورة عجيبة للغاية فى كل دول المعسكر الشرقى ، وقد كان العامل الحاسم وراء كل هذه التغيرات هو وصول الزعيم السوفيتى " ميخائيل جورباتشوف " إلى قمة السلطة فى الاتحاد السوفيتى ، لقد انتهج " جورباتشوف " مايعرف بسياسة البروسترويكا والجلاسونست أى المصارحة وإعادة البناء ، وهنا تفجرت براكين الغضب وبدأت الحقائق تظهر تباعاً وعرف العالم مدى التدهور الذى أصاب اقتصاديات الدول الشيوعية عموماً ، وبدأت حركات المعارضة تعمل بصورة فعالة ، ففى بولندا استطاعت حركة التضامن العمالية تأليب العمال ضد الحزب الشيوعى ، وبدأ العد التنازلى للحكم الشيوعى فى كل دول الكتلة الشرقية بداية من بولندا ثم المجر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبلغاريا وأخيراً رومانيا .

فى العشرين من نوفمبر عام ١٩٨٩ عقد المؤتمر العام للحزب الشيوعى الرومانى وتم إعادة انتخاب شاوشيسكو رئيساً لفترة جديدة تبلغ خمس سنوات ، وفى هذا المؤتمر ظهرت بوادر التوتر والقلق فى الأجواء الرومانية بصفة عامة .. فلم يكن من الممكن إخفاء أنباء الاضطرابات والانهيار المتوالى للأنظمة الشيوعية ، وكان الشعب الرومانى يتحرق شوقاً لنيل حريته والتخلص من زبانيته .

كان الشعب يعانى أشد المعاناة من نقص المواد الغذائية الأساسية من سكر وبيض وزبد ولحوم ، ومن أجل الحصول على أى منها كان على المواطن أن يقف ساعات طوال قد لايحصل بعدها على شىء نظراً لنفاد المعروض !!

وقد بلغت المعاناة الذروة عندما قامت الحكومة بتخفيض حصص الكهرباء للمواطنين مما أدى إلى تجمد الكثيرين من البرد فى شتاء رومانيا القارس .

وعلى الجانب الآخر كان الإسراف الشديد هو السمة الغالبة على نفقات الديكتاتور وحاشيته ، حيث كان شاوشيسكو يقوم بتجهيز قصره الجديد الذى يضارع أجمل قصور العالم وأكثرها اتساعاً ، وقد تمت إزالة عشرات المساكن فى وسط العاصمة بوخارست من أجل تشييد هذا القصر .

كما كان لشاوشيسكو خمس قصور للسكن و٣٩ بيتاً للضيافة و٢١ شقة رئاسية ، وبالإضافة إلى ذلك كان يمتلك تسع طائرات

فاخرة بالإضافة إلى ثلاث طائرات هليوكوبتر وثلاث قطارات رئاسية .

وفى كل يوم كان الرئيس يرتدى بدلة جديدة وحذاء ولايعود لارتدائها بعد ذلك بل تجمع وتحرق !!

أما عن إسراف زوجته " إيلينا " وأبنائه وحاشيته فقد بلغ حداً لايصدقه عقل .

وبدأت الثورة فى يوم السبت السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٨٩ حيث حاولت قوات الأمن اعتقال قس من أصل مجرى يقيم فى بلدة صغيرة على الحدود الشمالية الغربية لرومانيا بتهمة معارضة الحكومة ، ولكن المواطنين أحاطوا بمنزل القس وتصدوا ببسالة لقوات الأمن ، وفى اليوم التالى ازدادت الثورة اشتعالاً بعد انضمام المئات من المواطنين إلى المتظاهرين ، وصدرت التعليمات من زوجة شاوشيسكو- الذى كان فى زيارة لإيران - بإطلاق النار على المواطنين مما تسبب فى وفاة العشرات ، والعجيب فى الأمر أن المعارضة ازدادت وانتشرت فى العديد من المدن ، عاد الرئيس من الخارج وطلب من وزير دفاعه الضرب بقوة ، ولكن وزير الدفاع قال : إن الجيش لايستطيع قتل ٢٣ مليون مواطن هم كل تعداد رومانيا، وانضم جنود الأمن وقوات الجيش تباعاً إلى جموع اسظاهرين .

وعندما شعر شاوشيسكو باقتراب النهاية استقل طائرته هارباً ، وفطن عدد من جنود الجيش إلى أنه سوف يتحصن فى مدينة

(تيرجوفست) التى أنشأها خصيصاً ليقيم فيها فى حالة الطوارئ ، فتمكنوا من القبض عليه هو وأفراد أسرته ، وبعد محاكمة عاجلة تم إعدام شاوشيسكو وزوجته رمياً بالرصاص .



صدام حسين

هولاكو القرن العشرين :

أطلق عليه هولاكو القرن العشرين لـنزعته العدوانية الشديدة التى جعلته يفتك بأبناء شعبه المسكين ويقوم بمهاجمة جارته المسلمة إيران ، وليخـوض معـها أطول الحروب فى القـرن العشـرين ، وليت الأمر توقف عند هذا الحد بل أحدث الفتنة الكبـرى بين الدول العربية عندما باغت العـالم أجـمع بالهـجـوم المفـاجئ والغـادر ضـد دولة الكويت الصغيرة واحـتلالها فى سـاعات والادعـاء بأنها إحـدى المحافظات العراقـية ، ومـاتبع ذلك من أهوال شديدة عـانت منها منطقـة الخليج العـربى ومازال الشـعب العـراقى يعانى منهـا بعـدما دمـرت بنيتـه الأساسية وعاد إلى القرون الوسطى !!

ولعلنا لسنا الكثـير من هذه الأهوال التى عاشـتها منطقـة الشرق الأوسط خلال حقـبة الثمانينات والتسعـينات من هذا القرن ، ومازلنا نشاهد كل يوم صور الخراب والدمار فى مدن العراق وتطالعنا عيون الأطفـال العراقـيين الذابلة ووجوهـهم التى تحاكى وجـوه الموتى من جراء سوء التغذية ونقص الأدوية .

والمتتبع لسيرة " صدام حسين " يجد أن حياة هذا الطاغية تتشابه كثيراً مع باقى الطغاة الذين أجادوا حبك المؤامرات والتخلص من خصومهم بأحط الوسائل من أجل الوصول إلى قمة السلطة ، وتمتزج الدراما بالكوميديا ونحن نطالع سيرة هذا الطاغية .

ولد " صدام حسين " فى عام ١٩٣٥ فى مدينة تكريت العراقية ، وعرف منذ صغره بنزعته العدوانية وشراسته وقد انضم فى بداية حياته إلى صفوف حزب البعث العراقى الذى تمكن من الاستيلاء على السلطة فى عام ١٩٦٨ وكان " صدام حسين " هو الرجل القوى فى العراق ، واستطاع " صدام حسين " أن ينفرد بالسلطة المطلقة فى البلاد بعد إقصاء الرئيس العراقى " أحمد حسن البكر " .

عودة إلى الوراء :

حتى سنة ١٩٨٠ كانت العراق هى أغنى وأقوى الدول العربية ، حيث كان اقتصادها يبشر بمعدلات نمو غير مسبوقة بين الدول العربية ، وكانت العراق مؤهلة لتحقيق وثبة هائلة حيث تملك ثروة نفطية كبرى ويتجاوز معدل إنتاجها من البترول مليونى برميل يومياً ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فالعراق يمتلك مساحات شاسعة من أخصب الأراضى فى العالم وتتوافر لديه الأنهار وأبار الرى بالإضافة إلى وجود قاعدة عريضة من الفنيين والعمال العراقيين الذين حصلوا على مؤهلات مناسبة ، وحتى سنة ١٩٧٩ لم يكن العراق مديناً لأية دولة خارجية بدولار واحد ، فهو من أغنى دول

العالم ولا حاجة به إلى الاقتراض ، كما أن ثرواته البترولية كانت تكفيه لتمويل خطط التنمية الطموحة ، وكان العراق بصدد تحقيق ثورة زراعية كبرى ، وكان بالفعل يمتلك كل مؤهلات الثورة الزراعية والصناعية أيضاً ، وكانت المصانع العراقية الكبرى قد بدأت تنتشر فى طول البلاد وعرضها مبشرة بانطلاقة عظمى لإحدى الدول العربية الإسلامية .

ولكن كان هناك من حوّل كل هذه الأحلام إلى كابوس طويل وبدّل نهار بغداد المشرق إلى ليل حالك الظلام لم ينته حتى الآن .

أطول حرب فى القرن العشرين :

لقد وسوس الشيطان فى نفس " صدام حسين " بأنه مبعوث العناية الإلهية لإقامة امبراطورية كبرى ، وكانت البداية عندما وجه نظره تجاه الشرق وبالتحديد إلى إيران التى كانت قد اقتطعت أجزاء من شط العرب العراقى بموجب اتفاقية وقعت أثناء حكم شاه إيران " محمد رضا بهلوى " ، وكان عدد كبير من العراقيين يرى أن العراق قد ظلم فى هذه المعاهدة ، وذهل العالم وهو يرى القوات العراقية تهاجم القوات الإيرانية بغية استعادة هذه الأجزاء من شط العرب .

كان ذلك فى عام ١٩٨٠ ، واندلعت أطول حرب فى القرن العشرين وهى الحرب العراقية الإيرانية أو حرب الخليج الأولى والتى استمرت حتى سنة ١٩٨٨ حينما فوجئ العالم بإعلان إيران قبول وقف إطلاق

النار الذى عرضه العراق مراراً .. ثمانى سنوات من الحرب الدامية قتل فيها مايزيد من مليون عراقى من خيرة الشباب ودمرت فيها مئات المبانى والمرافق وأسقطت فيها عشرات الطائرات وأغرقت مئات السفن ، وخلال هذه الحرب المجنونة سمع العالم لأول مرة عما عرف بحرب المدن ، حيث استخدمت كلتا الدولتين الصواريخ طويلة المدى لضرب مدن الدولة الأخرى مما أحدث إصابات فادحة وأزال أحياء بأكملها من على وجه الأرض .

وكانت النتيجة فى نهاية الحرب خروج العراق مديناً بمئات الألوف من الدولارات أنفقها على شراء الأسلحة والمستلزمات الحربية الضرورية ، وأصبحت الحدود بين العراق وإيران هى نفس الحدود التى كانت عليها قبيل نشوب هذه الحرب المجنونة !!!

جنون العظمة :

ورغم كل هذه الخسائر الفادحة والخراب الشديد الذى حل بكل أرجاء العراق وأدخل الحزن فى كل قلب عراقى فإن " صدام حسين " لم يكف عن طغيانه ، ففى العراق توجد ملايين الصور لصدام فى جميع الشوارع والميادين ووسائل المواصلات والمصالح الحكومية والمحال التجارية .. بل إن صورته توجد داخل جميع المنازل .. فقد نجح هو وزبانيته فى إدخال الفزع والرعب فى قلوب مواطنيه التعساء .

وليت الأمر توقف عند ذلك فقط ، فقد أطلق على " صدام حسين "

ثمـانية وتسـعين اسمـاً كل اسم منها يبـدأ بالقائد ، وتحـمل هذه الأسمـاء صفات القـوة والعظمة وقد طبـعت هذه الأسماء فى وثيـقة رسمـية علـى العراقـيين أن يشتـروها ويضعـوها فى المكان المناسب بجوار صور الزعيم !!

ومن أمثلة هذه الأسماء : القائد العظيم - القائد المظفر - القائد الفذ - القائد الشجاع - القائد التاريخى - القائد الحكيم - القائد الأمين - القائد المبـدع - القائد المفكر .. إلى آخـر القائمة التى تثـير الغثـيان .. ونتعجب جـميعاً لماذا جعلهـا ثمانية وتسعين اسمـاً ؟! ونترك للقارئ الإجابة بفطنته !!

الفتنة الكبرى :

كان حرياً بإنسان جرّ على بـلاده هذا الخراب والدمار وحولها من دولة غنية فتية إلى دولة مدينة مـحطمة أن يختفى عن الأنظار ويترك الحكم لمن هو أهله ، ولكن الذى حدث هو العكس !!

لقد عـميت بصـيرة هذا الرجل وازداد عـنفاً وشراسـة ، ومن أجل تعويض خـسائره الفادحـة هداه تفكيره الشـاذ إلى القيام بمغـامرته الثانية والتى قـضت تماماً على قوة الشعب العراقى وعـرضته لإذلال ومهانة لم يتعرض لهما شعب فى العصر الحديث .

لقد أفاق العالم فى صباح الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ على خبر غريب مؤداه أن جـحافل القوات العراقـية اجتاحت الحدود الـكويتية

واستطاعت ان تحتل تلك الدولة الصغيرة التى تقع إلى جنوب العراق ، وبعد ساعات أعلنت القيادة العراقية أن الكويت هى إحدى المحافظات العراقية وأن الأمر هو مجرد مسألة داخلية بحتة !!

كان العراق قد ادعى قبل هذا اليوم عدة مرات أن الكويت يقوم باستغلال حقول النفط العراقى وذلك فى محاولة واضحة لجر الكويت إلى معركة كلامية لتكون ذريعة للاحتلال ، ولكن الكويت تذرع بالصبر وكانت هناك عدة محاولات لمعالجة الأمر بحكمة ، ولذلك كانت المفاجأة كاملة عندما تم احتلال الكويت ، وأدرك العالم أن صدام حسين قد بيّت النية على القيام بهذه الخطوة التى تميزت بالغدر والخسة .

وخلال بضعة أسابيع تدفقت أساطيل الولايات المتحدة ودول العالم إلى منطقة الخليج العربى تمهيداً للتدخل ضد القوات العراقية التى أصبحت تمثل تهديداً مباشراً لمنابع البترول فى الخليج العربي والسعودية ، وهى تمثل أهم مناطق الاحتياطيات البترولية فى العالم .

ورغم كل هذه القوات المحتشدة ورغم الاستعدادات الواضحة لمهاجمة العراق إلا أن صدام حسين رفض الانسحاب من الكويت وظل يعلن استعداده لملاقاة القوة بالقوة .

وفى يناير من عام ١٩٩١ هاجمت القوات المتحالفة بزعامة الولايات المتحدة القوات العراقية فى الكويت كما قامت بشن مئات الغارات بأحدث الطائرات فوق بغداد والمدن العراقية وألقت عشرات الأطنان

من القنابل وقذفت آلاف الصواريخ الحديثة ، بل أحدث مافى ترسانات الولايات المتحدة والدول الغربية .

وكانت النتيجة أن انسحبت القوات العراقية من الكويت بعد تعرضها لهزيمة ساحقة قتل فيها المئات واستسلم الآلاف ، كما تعرضت بغداد لدمار لم تشهده مدينة عربية من قبل ، وحتى الآن يتعرض العراق لحصار اقتصادى كامل منع عنه وصول أية واردات ، كما تعرض لإذلال شديد بمنع طائراته من التحليق فوق مناطق شاسعة من الحدود العراقية فى الشمال وفى الجنوب أيضاً ، وإذا ماانتهكت أى طائرة عراقية هذا الحظر فإنها تتعرض للقصف فوراً من الطائرات الأمريكية المتربصة .

وكانت من نتيجة هذه الحرب المدمرة انقسام العالم العربى على نفسه مابين مؤيد للعراق ومعارض له ، كما تمركزت القوات الأمريكية فى مياه الخليج العرب بصفة دائمة ، وعاد العراق إلى العصور الوسطى ومازال " صدام حسين " يتحدى ويدّعى أنه حقق أعظم الانتصارات فى أم المعارك !!



الشخصيات	الصفحة
مقدمة	٣
سقراط	٧
الإسكندر الأكبر	١٤
نيرون	٢١
چنكيز خان	٣٠
روبسبيز	٤٨
محمد على باشا	٥٥
بيتهوڤن	٧٤
راسبوتين	٨١
فان جوخ	٩٣
بيكاسو	٩٦
أتاتورك	١٠٥
ستالين	١١٠
ليون تروتسكى	١١٨
هتلر	١٢٤
انور خوجا	١٣٦

الشخصيات الصفحة

بوكاسا ١٤٠

رودلف هيس ١٥١

شاوشيسكو ١٥٨

صدام حسين ١٦٤

الشخصيات ١٧١

★ ★ ★

هذا الكتاب

* تناول هذا الكتاب العديد من القادة والزعماء والأدباء والفنانين ، الذين لفتوا أنظار العالم بعجائب تفوق التصور والخيال .

* وتلك متعة حقيقية أن يعيش القارئ مع هذه الشخصيات التى حيَّرت الأذهان بغريب صنعها وسلوكها ، حتى يشاركنا القارئ الكريم عجبنا وحيرتنا واستمتاعنا بمطالعة سير هؤلاء المشاهير .والله ولى التوفيق .

★ ★ ★

الناشر



بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

مكتبة معروف
الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية
e - mail : marouf- book @ hotmail . com